الأندلس والمغرب
وحدة أم تكامل؟

عبد العزيز ابن عبد الله
عضو أكاديمية المملكة المغربية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عاش المغرب في الأندلس ثمانية قرون من أواخر القرن الأول الهجري إلى بداية القرن التاسع أي نهاية المملكة النصرية في غرناطة وقد كان للعدوتين طوال هذه الحقبة المترامية تجاوب وتجاذب سبقته هجرة الوندال (Vandales) (وأنداليس) في القرن الخامس الميلادي هي التي انطلق منها اسم الأندلس حسب تخمين مؤرخين في مرحلة وسطى دعوا خلالها منطقة بيتيك Bètique الرومانية بواندلوسية (Vandalicia)[1] ومع تقلص الامبراطورية الإسلامية في الجزيرة الإيبيرية إلى الآن أصبحت كلمة أندلس مقصورة على أقاليم جنوبية تمر بإشبيلية وقرطبة وغرناطة لتشع في وقت مبكر على جهات أخرى من العدوة الجنوبية ثم تتسع غب هجرة الأندلسيين

---

1) راجع دوزي ـ أبحاث حول تاريخ وأدب عرب اسپانيا خلال العصور الوسطى ـ الطبعة الفرنسية الثالثة ـ ليد 1881 (ج 1 ص 301).

إلى المغرب الكبير وخاصة المغرب الأقصى بعد النفي العام وحركة الغزو الإيبيري (Reconquista).

ولعل نوعاً من التلاحم قد تحقق في أرض الأندلس بتمازج فلول شرقية بعناصر من إفريقية والمغرب تزاوجت في كيان مشترك تمخض عبر القرون عما سماه الغربيون بالغرب الإسلامي تبلورت فيه ألوان متكاملة شملت أدق مجالي الحياة حتى ما عرف منها بالفن الإسباني الموريسكي، وقد انصهرت مؤشرات أموية غربية عريقة خاصة خلال القرن الرابع الهجري في مؤثرات صنهاجية مصمودية تحت تأثير المرابطين والموحدين ومن هناك انطبع تراث الأندلس بعطاءات مغربية إفريقية عربية انبثقت عنها حضارة فذة خلقت عالما ثالثا بين الشرق والغرب كاد يرتكز بين المحيط والمتوسط في المغرب وصحرائه كصلة بين ثلاث قارات وثلاث حضارات، وكان السبق في كل ذلك منذ الانطلاقة الأولى للفوج الإفريقي المغربي الذي غزا الأندلس[2].

وقد بدأ احتلال الأندلس بحراً عام 27 هـ على يد عبد الله بن نافع وعبد الله بن الحصين (ابن عذاري عن الطبري في البيان ج 2 ص 5).

وقد ظلت الأندلس خلال ثمانية قرون متأرجحة بين التبعية والانفصال عن المغرب واستوثق هذا الزباط طوال ثلاثة قرون من عهد المرابطين إلى عهد المرينيين.

---

2) بلغ جيش طارق الذي حارب رودريك في معركة وادي بكة Rio Barbat إثنى عشر ألفا كلهم أفارقة انضم إليهم بإمرة موسى بن نصير عام 93 هـ / 712م عشرة آلاف عربي فيهم القيسية واليمنيون.

وفي غضون ذلك كله طرأت على الأندلس أحداث كيفت بنيتها وأسيستها تدريجيا عبر العصور.

ففي عام 123 هـ / 741م وقعت أول انتفاضة بربرية عامة في الأرض الإسبانية كانت امتدادا لانتصارات البربر في وقعة طنجة بقيادة ميسرة الخفير قبل ذلك بسنة وقد عقبتها ثورة أخرى عام 124 هـ تسلسلت طوال عقد من السنين أدت بعد استيلاء عبد الرحمن الداخل على الحكم إلى عودة الكثير من البربر إلى المغارب عام 136 هـ / 753م إثر مجاعة عارمة ولكن الأمير عبد الرحمن ما لبث أن استدعى البرابرة الأفارقة لتضخيم فيالقه وقد حفلت الأندلس منذ ذاك بعرب عدنانيين قرشيين وأمويين بالإضافة إلى فصائل يمنية قحطانية تركزت في شرق الأندلس وغربها وتفتقت عن الأسر المالكة في قرطبة وإشبيلية وعن حضارمة اليمن بغرناطة وبذلك تجمعت اليمنية في جبال وأرباض الحواضر الكبرى التي تتكون منها الأندلس ولعل لذلك صلة خفية بينهم وبين صنهاجة ومصمودة في عهد المرابطين والموحدين وهم أيضا من محتد يمني ولا تزال إلى الآن بقايا جزولة بين غرناطة والمحيط على مسافة غير بعيدة من الجزيرة الخضراء في جبال تعرف بجبال جزولة Sierra de las Gazules[3].

وبتوارد مهاجرين أفارقة جدد إلى قرطبة بدعوة من المنصور بن أبي عامر تضخمت أفواج القرطبيين البرابرة الذين عزز الناصر الأموي بهم قياداته العسكرية وخططه الإدارية والقضائية وهؤلاء هم الذين أفردهم ابن

3) اسپانيا الإسلامية في القرن العاشر ـ ليڤي بروفنصال لاروز ـ باريس 1932 (ص 27).

حزم بكتاب الأنساب مدرجا بينهم الأصناف الثلاثة المذكورة من صنهاجيين ومصامدة وكتاميين[4].

إن من الصعب أن نرسم لأنفسنا صورة واضحة صحيحة عن مسرى التطورات الحضارية خلال القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الأندلس أو المغرب[5] قبل المرابطين وربما قبل الموحدين مثلما أمكننا ذلك في نفس الفترة في الشرق العربي، وقد بدأت هذه النظرة تتضح مع المقريزي (المتوفي عام 845 هـ / 1442م) والقلقشندي صاحب (صبح الأعشى) (المتوفى عام 821 هـ / 1418م) وابن فضل الله العمري (748 هـ / 1348م).

وهكذا ظللنا في حاجة ماسة إلى أن نتحسس ونتلمس من خلال الشذرات المنتثرة مظاهر ومجالي تبرز نتفا من الإبداعات التي حققها الأمويون وكان لها ـ أخذا أو عطاء ـ صلة مع الأوضاع الغامضة التي رسم لنا بعض خطوطها دون عمق في خصوص العدوة الجنوبية مؤرخون أمثال ابن خلدون وابن أبي زرع وعبد الواحد المراكشي والزركشي صاحب (تاريخ الدولتين) وابن بسام (في الذخيرة) والمقري في (نفح الطيب) كل ذلك نقلا عن كتب ظلت مغمورة بين ثنايا المخطوطات الغميسة من أهمها المقتبس لابن حيان الذي لم نتعرف عن أهميته إلا من خلال ما نقله عنه (ابن بسام)، وقد برزت أكثر فأكثر قيمة هذا الكتاب بعد ما صدرت منه أقسام أثرت معلوماتنا بفيض من النقول المباشرة عن مخطوطات ضاع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

4) راجع نقول ابن عبد الحليم عن هذا الكتاب في (كتاب مفاخر البربر) (مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط).

5) راجع العصور الغامضة في تاريخ المغرب ـ كوتيي.

بعضها، فقد نشر ابن حيان[6] فصولا بكاملها اقتبسها من تاريخ أحمد بن محمد الرازي[7] وتاريخ الأندلس لابن الفرضي و (نقط العروس في نوادر الأخبار) لابن حزم وعريب بن سعيد والحسن بن محمد بن مفرج القبشي صاحب (كتاب الخلفاء) وإسحاق بن سلمة في (تفضيل الأندلس) ومحمد بن مسعود في كتابه (الأنيق) مدليا أحيانا بآرائه المخالفة لما ينقل عن الرازي ومفصلا بشروح واسعة ما أجمله (عريب بن سعيد) ويستخلص ابن حيان من كل هذه المصادر نظرات دقيقة عن عصر عبد الرحمن الناصر مستعرضا الكثير من مظاهر العمران والحضارة في بلاط قرطبة أو كبريات الحواضر، وقد استمد ابن حيان بعض معلوماته مباشرة من خطوط علماء أندلسيين مثل (صاعد بن صاعد) قاضي قرطبة أو رسائل (موسى بن أبي العافية) القائم بدعوة الناصر لدين الله بالمغرب أو ولده أبي منقذ بن موسى (عظيم أهل الولاية بالمغرب)، وآخر مالدينا من (المقتبس) جزءه الخامس الذي صدر عام 1979 وتبلورت فيه كل المصادر المذكورة في مجال زمني يبتدئ عام 300 هـ وينتهي عام 329 هـ وبقيت ملازم أخرى مجهولة وهكذا أشار ابن حيان[8] إلى كتاب الخليفة الناصر لدين الله الذي ندد فيه بمذهب ابن مسرة وأتباعه وقرئ في الأمصار ناقلا عن تاريخ الرازي وتاريخ الأندلس لابن الفرضي الذي أكد[9] أن والد محمد بن مسرة هو عبد الله مولى رجل من برابرة أهل فاس.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

6) راجع الجزء الخامس.

7) ينقل أحيانا عن ولده عيسى بن أحمد الرازي.

8) المقتبس ج 5 ص 25 ـ طبعة المعهد الإسباني العربي للثقافة بمدريد (كليةالآداب بالرباط 1979.

9) طبعة كوديرا رقم 650 وطبعة القاهرة رقم 652.

كما أكد لنا ابن حيان (حسب نقل ابن الأبار في الحلة السيراء ص 33) أن عبد الرحمن الناصر كان أول من تسمى بالخليفة وتلقب بأمير المؤمنين في حين يلاحظ مؤرخو المرابطين أنهم إنما انتحلوا لقب إمارة المسلمين تاركين لدار السلام ببغداد شمولية الإشراف على العالم الإسلامي بأكمله.

نعم كانت المعالم غامضة لم تسمح لنا بتوضيح قتامة بعض الخلفيات في رسومات المقارنة رغم ما بذله مؤرخون أجانب أمثال (جوزيف أشباخ) الألماني في كتابه عن المرابطين والموحدين[10] والمستشرق الهولندي (رينهارت دوزي) في (تاريخ المسلمين في الأندلس[11] والأستاذ (ليفي بروفنصال) الذي لم يتعد القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي أي آخر العهد الأموي[12]) غير أنهم استطاعوا تحقيق بعض التقدم في دراساتهم بسبب ما أمكن الكشف عنه من مخطوطات غميسة مثل كتاب (اعزما يطلب) لمحمد المهدي بن تومرت[13] و (أخبار المهدي بن تومرت) لأبي بكر الصنهاجي الملقب بالبيذق و (مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المومنية[14] ثم بعد نحو عقدين من السنين. ظهرت أبحاث أخرى كشفت عن جوانب جديدة مثل كتاب (قيام دولة المرابطين) للدكتور حسن أحمد محمود[15]

---

10) ترجمه إلى العربية الأستاذ محمد عبد الله عنان.

11) أنجز منه ثلاثة أجزاء وقف عند فتح المرابطين للأندلس.

12) في كتابه (اسپانيا المسلمة في القرن العاشر) طبعة باريس.

13) نشره (لوشياني) عام 1903 بالجزائر بتقديم المستشرق جولد زيهر.

14) نشرها مع مجموعة أخرى ليفي بروفنصال في باريس 1938 أعقبها حسين مؤنس بمجموعات من رسائل الدولة المرابطية.

15) نشر بالقاهرة عام 1957.

والمرابطون[16] للدكتور (خاثينثو بوسك فيلا) والقسم الثاني من كتاب (المن بالإمامة) لإبن صاحب الصلاة[17] أصدره الأُستاذ (امبروسيو أويثي ميراندا) ثم أعقبه (البيان المغرب) لابن عذاري في طبعتين بتطوان[18] مما أتاح له فرصة توليف أوسع في كتابه (التاريخ السياسي لدولة الموحدين) طعمه بمعلومات دقيقة من مصنف جديد هو كتاب (نظم الجمان) لابن القطان الكتامي[19] الذي حققه الدكتور محمود علي مكي[20] والذي ظل مرجعا لكثير من المؤرخين أمثال ابن عذاري وصاحب (الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية) وابن الخطيب السلماني ويقال إن ابن القطان هذا هو أبو الحسن علي بن محمد الكتامي الفاسي المتوفى عام 628 هـ / 1230م[21].

ولعل بعض المجالي الحضارية الأندلسية قد تسربت إلى المغرب منذ القرون الثلاثة الأولى لا سيما بعد نزوح أربعمائة عائلة إلى فاس غبّ (وقعة الربض).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

16) نشر بالإسپانية في تطوان عام 1956.

17) نشر الدكتور عبد الهادي التازي المخطوطة الوحيدة الموجودة في مكتبة (البودليانا) في اكسفورد.

18) عامي 1956 و 1961 ثم طبعة جديدة بتحقيق الأُستاذين محمد ابراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت.

19) كان أعاره إياه (ليڤي بروفنصال) بعد أن نشر جزءا منه دون أن يعرف أنه لابن القطان الكتامي ولكن معهد الدراسات الإسلامية بمدريد تملك من بين تركة بروفنصال بعد وفاته القطعة غير المنشورة من (نظم الجمان) وهي فريدة في العالم.

20) بإشراف معهد مولاي الحسن بتطوان (المطبعة المحمدية).

21) وان كان الدكتور محمود على يرى عن حق أنه ربما كان ابنا له أو أحد أقاربه لأن الكتاب يشير إلى خلافة المرتضى الذي وليها بين عامي 646 و 665 أي بعد وفاة ابن القطان بقريب من عشرين سنة.

ذلك أن نظام البلاط في العهد الأموي ـ وان كان قد تأثر بما عرفه العباسيون والفاطميون ـ فإن له ميزات اتسمت بمعطيات جهوية رغم وحدة الهيكل البنيوي فالصقالبة قد شكلوا معظم حشم القصر الخليفي أو أطره كالفتيان وأصحاب المطبخ والبنيان والخيل والبرود (الرقاص المحلف) والطراز والصباغة والبيزرة (صيد الغرانيق) والسيف وخزانة السلاح بالإضافة إلى القهارمة وخاصة الخليفة وقد استعملت نفس المصطلحات بالمغرب الأقصى في مجالات أُخرى كالبيعة وولاية العهد والسدة العالية وعبيد القصر والحجابة والخطط الإدارية والقضائية (كقضاء الجماعة وقاضي القضاة وقاضي العسكر) والمحتسب وصاحب السوق والمشاورة وعمال الولايات ويعين أصحابها بصكوك بدل ظهائر ووظائف أُخرى تدخل في إطار «خدمة الخلافة» ككتاب الزمام والرسائل والأسجال الخراجية والكتابة الخاصة والتوقيعات وتنجيزها والأوقاف وبيت المال (أو خزانة المال التي كانت تحوي الصدقات والأعشار والخراجات والجوالي والجبايات والضمانات والأموال المرسومة على المراكب الواردة والصادرة ورسوم بيوع الأسواق والمواريث الحشرية زد على ذلك الرسوم غير المنظمة مثل المغارم أو الوظائف أو القبالات والمكوس وجباتها المترفين أو الأمناء وربما أمراء الجبايات) أما موارد الخليفة فكانت تندرج في المستخلصات (وهي مما يسمى بخاصيات بيت المال) فيها غلات الضياع الشبيهة بالعزائب السلطانية في المغرب.

ورغم التطعيمات المغربية والصحراوية المختلفة لحضارة الأندلس فإن روح الاستماتة والجهاد كانت هي العامل الأساسي الذي مكن الأندلس من أن ترفع راية الحضارة الإسلامية طوال ثمانية قرون وكانت الصليبية قد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بدأت تتحرك من الأندلس للإيقاع بالإسلام فانبرى القائد المرابطي (479 هـ / 1086م) أي قبل الحرب الصليبية الأولى بعشر سنوات (1096م) لتحرير إمارات ملوك الطوائف من ضغط الإسبان فأحرز في معركة الزلاقة (عام 1086)[22] ضد (ألفونس السادس) ملك قشتالة (عام 1065 ـ 1109) نصرا تردد صداه في الشرق والغرب وذاع صيت القائد الظافر الذي لقب منذ ذلك اليوم «بأمير المسلمين» مع استمرار دعوته لدار الخلافة العباسية تركيزا للوحدة الكبرى وتكونت امبراطورية واسعة ضمت الصحراء والمغارب الأربعة (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب) والأندلس تحت الحكم المرابطي ثلاثة أرباع قرن (إلى 537 هـ) برز خلالها ملوك طوائف جدد بالأندلس وزحف صليبي عارم في إفريقية (أي تونس) وكان المهدي بن تومرت قد بدأ جولته في الشرق منذ أوائل القرن السادس فانبرى يجدد معالم الدين ويركز العقيدة السلفية ويجمع من جديد تحت ظل الإسلام المملكة المرابطية الشاسعة التي بدأت تنهار، وقد استطاع خليفته عبد المؤمن الموحدي في سنة الأخماس (555 هـ) تخليص إفريقية من الغزو النرمندي وتحصين جبل الفتح (جبل طارق) بالأندلس بفضل أسطوله العتيد الذي أصبح أول أسطول في البحر الأبيض المتوسط[23] والضرب على أيدي العرب الهلاليين والسليمين الذين نشرو الرعب والدمار بإفريقية فازدهرت بذلك حضارة جديدة أسهمت الأندلس في طبعها بميسم خاص بزعامة يعقوب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

22) وقعت معركة (حطين) التي انتصر فيها صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين بعد قرن كامل (عام 1187م) فكأنها كانت ذكرى مئوية لانتصار (الزلاقة).

23) أندري جوليان ـ تاريخ إفريقيا الشمالية عام 1931 ص 412.

الملقب بالمنصور منذ ظفره على الصليبية المتكتلة في وقعة الأرك (591 هـ ـ 1195م) أي بعد وقعة (حطين) بنحو عقدين من السنين وشعر (البابا أنيوسان الثالث Innocent III) (عام 1198 ـ 1217م) بالخطر الداهم فتكاتفت البابوية بموجب تصميماتها المعتادة مع ملك قتشالة (ألفونس الثامن) (1158 ـ 1214م) وأسقف طليطلة (رودريك جيمنيز) للكر من جديد على الإسلام المتوثب في (وقعة العقاب) (609 هـ / 1212م) التي كانت هزيمة شنعاء ضعضعت مقومات الامبراطورية الموحدية في الغرب في نفس الوقت الذي بدأ المسيحيون يندحرون في مصر خلال الحرب الصليبية الخامسة (1219م) حيث طردوا نهائيا من الأماكن المقدسة بعد معركة غزة (عام 1244م) واتجه المرينيون فيما بعد يلمون الشمل معيدين للبلاد وحدتها في حدودها الإفريقية بينما هب (ألفونس العاشر) لتضييق الخناق على المملكة النصرية (أي دولة بني الأحمر) التي لم تفد من إجازات المرينيين المتوالية للأندلس سوى خضد مؤقت لشوكة المسيحية والواقع أن الإمبراطورية المرينية كانت منهارة من أساسها رغم ذيوع صيت أبي الحسن أعظم ملوكها الذي مني بآخر هزيمة في وقعة طريف (741 هـ / 1340م) (Reo de Salado) قطعت الأمل في إنقاذ الأندلس حيث واجهت مملكة غرناطة مصيرها وحدها.

غير أننا لن ندرك مدى التلاحم بين حضارة العدوتين إلا إذا استعرضنا نماذج تبرز التكامل إذ لم نقل وحدة البنية في شتى مجالات الحضارة ومرافق المعرفة فلنضرب أمثلة لهذا التزاوج الفكري بين شقي البحر الأبيض المتوسط في مختلف حقول العلم والفن خاصة في الطب والصيدلة والرياضيات والعلوم الإسلامية والمعماريات.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطب والصيدلة :

أما في الأندلس فقد ذكر لوكلير (ج 2 ص 350) أن القرن العاشر (الرابع الهجري) يعد من أنصع القرون في اسبانيا العربية سواء من حيث دراسة الفنون أم من حيث المؤسسات والمخترعات العلمية.

فإذا كان هذا القرن هو أدون من حيث علماؤه من القرنين الحادي عشر والثاني عشر (الخامس والسادس الهجريين) فإن علماء هذين القرنين إنما فاقوهم بفضل ما ابتدعوه من مؤسسات ومكاتب ومدارس فأولئك بذروا وهؤلاء حصدوا وفي هذا العصر كان ذلك الحماس العلمي يسود حول (مسلمة المجريطي) الذي عاش بقرطبة.

وفي هذا الإبان كذلك برز (ابن جلجل) كأعظم طبيب طبائعي في عصره حيث عرب (مفردات ديسقوريدس) وزاد عليها الأدوية المعروفة عند العرب والتي جهلها ديسقوريدس[24] وقد كتب ابن جلجل أيضا (تاريخا للأطباء والحكماء) الذين ظهروا قبله في الأندلس.

والوليد المدحجي الطبيب قد دخل الأندلس مع عبد الرحمن بن معاوية وكان طبيبه أخذ عنه ابنه ابراهيم.

وقد ألف عبد الملك بن حبيب السلمي المرداسي القرطبي المتوفى عام 238 هـ (مختصرا في الطب) توجد منه نسخة مخطوطة في المكتبة الوطنية بالرباط.

---

24) توجد في اسطامبول نسختان من كتاب الحشائش لدسقوريدس رسمت في أولها صورة المؤلف اليوناني وقد أشار بوشثال وكورز إلى نسخة من هذا القبيل انتسخت في بغداد عام 637 هـ ميلانج (مختلط) لوي ماسينيون ج 2 ص 93.

ومما يدل على أهمية أطباء الأندلس في القرن الرابع أن محمدا بن عبدون القرطبي دخل مصر والبصرة وعني بعلم الطب ودبر مارستان مصر ثم رجع إلى الأندلس سنة 360م وقد ذكر (صاعد) «أنه تمهر في الطب ونبغ فيه وأحكم كثيرا من أصوله ولم يكن يلحقه أحد بقرطبة في صناعة الطب ولا يجاريه في ضبطها وحسن دربه فيها وإحكامه لغوامضها» (النفح ج 1 ص 444).

وأبرز طبيب عربي ظهر في الأندلس في القرن الرابع هو (أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي) صاحب كتاب «التعريف لمن عجز عن التأليف» وقد قال فيه أحد الجراحين الغربيين : «لاشك أن الزهراوي أعظم طبيب في الجراحة العربية وقد اعتمده واستند إلى بحوثه جميع مؤلفي الجراحة في القرون الوسطى» وكتابه هو اللبنة الأولى في هذا الفن وهو أول من ربط الشرايين ووصف عملية تفتيت حصاة المثانة واستخرجها بعملية جراحية وعالج الشلل وأول من استعمل خيوط الحرير في العمليات الجراحية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وذكر (لوكلير) من جهته أن (الزهراوي) أعظم ممثل لعلم الجراحة في المدرسة العربية (ج 1 ص 334).

والظاهرة الطريفة التي امتاز بها كتاب التعريف للزهراوي هو إدراجه بإزاء النصوص لصور الآلات وإلا فإن كتابه في التشريح مقتبس - حسب الدكتور لوكلير - من الكتاب السادس لبولس دوجين ولكنه كان مع ذلك جراحاً ممتازاً ووضع في أول كتابه (معرفة علم التشريح كأساس للجراحة) (ج 1 ص 445) فكتابه هو أول تعبير للجراحة كعلم (ص 456)

وقد طبع كتاب الزهراوي في الهند بصوره[25] وكثير من كتب الطب تحتوي على صور حيث يوجد مجموع في العين بالخزانة التيمورية كتب عام 592 هـ من محتوياته (تذكرة الكحالين) لعلي ابن عيسى الموصلي بها دوائر ورسوم للعين وكتاب في (علل العيون وعلاجها) لحنين بن إسحاق به صور للعين ملونة وقد ترجم هذا الكتاب للألمانية الأستاذ : (مايرهوف) الكحال الشهير.

والحمامات توافرت كذلك في الأندلس والمغرب وهي تشتمل في المغرب على ثلاث قاعات بينما الحمامات الأندلسية تحتوي على قاعة أولى ثم ثانية وبرمها (جمع برمة) تتعدد في نفس الغرفة وهي من مرمر تتصل بأنابيب مغروسة في الجدار تصدر عن البرمة المركزية وتشيع درجة كبيرة من الحرارة (تاريخ مسلمي اسبانيا لدوزي ج 1 ص 58).

أما في المغرب الأقصى فمن الصعب تأكيد ابان ابتداء الازدهار إلا أن (الدكتور لوكلير) أكد أن الطب ازدهر في هذه الربوع خلال القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) ازدهارا عابرا مع الأسف (ج 1 ص 334).

ثم تحدث في موضع آخر عن أطباء المغرب فلاحظ أن المغرب هو أشد أقطار الإسلام عمقا من الناحية العلمية (ج 1 ص 407).

---

25) يوجد بالمكتبة الوطنية بالرباط ضمن مجموع عدد 1427 د بعد المقالة الثامنة من كتاب التصريف للزهراوي مقالة تحتوي على 28 صورة لحدائد الكي وآلات العمل وهذه المكاوي الدقيقة الصنع تختلف حسب العضو المريض من الرأس إلى الأذن والفك والعين داخلا وباطنا والأضراس والمعدة والمقعدة والكبد والطحال والقدم والساق والتآليل والرحم والمثانة إلخ...

ومع ذلك فقد كان في المغارب الثلاثة أطباء مهرة في هذا العصر يدل على ذلك ما رواه (القفطي) من أن المعز الفاطمي قد رافقه إلى مصر أطباء من أرض المغرب (إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص 75).

وقد اشتهر (قسطنطين التونسي) في القرن الرابع كطبيب ترجم عشرات الكتب إلى اللاتينية.

ونقل الكانوني في «شهيرات المغرب» (مخطوط) عن كتاب «فن الأسنان بالمغرب الأقصى» انه كان بفاس في القرن الرابع الهجري مدرسة طبية وذلك أيام كان المغرب تحت نفوذ الأمويين.

وكان القرنان الخامس والسادس الهجريان أبرز العصور العلمية في الأندلس المسلمة رغم الاضطراب الذي تمخض عن تدخل المرابطين ثم الموحدين وذلك بفضل العناية التي أولاها هؤلاء الخلفاء للعلم والعلماء إذ يمكن القول ـ والدكتور لوكلير يؤكد هذا (ج 2 ص 72) ـ بأن الفكر لم يسبق له أن تحرر كما وقع في هذا العصر وشهد بذلك نبوغ أمثال ابن طفيل وابن باجة وابن رشد (الذي هو أعظم فيلسوف أنجبته الأندلس) وبني زهر الذين توارثوا الطب طوال ثلاثة قرون وأعظمهم هو أبو مروان عبد الملك الذي يعتبره بعض المؤرخين أكبر طبيب تخرج من المدرسة العربية يضاف إلى هؤلاء الغافقي وأبو الصلت أمية ابن عبد العزيز الداني اللذان ألفا في (تاريخ الطب الطبيعي) والغافقي هذا هو أبو جعفر أحمد بن محمد وهو غير محمد بن قسوم الغافقي صاحب المرشد في طب العيون ويوجد (كتاب الأعشاب) للغافقي في دار الآثار العربية وهو يحتوي على 380 رسما ملونا لنباتات وعقاقير وحيوانات متقنة الرسم.

وممن نبغ أيضا بالأندلس في هذا العصر (ابن العوام) مؤلف «كتاب الفلاحة» الذي لايوجد له نظير في الأدب العربي لما يحتوي عليه من معارف تطبيقية ووثائق قديمة ثمينة (لوكليرج 2 ص 1) بل هو أعظم ما أنتجه العرب وحدهم بل حتى العصور القديمة (ص 110).

وابن العوام هذا هو أبو زكرياء يحي بن محمد الذي لانعرفه إلا من خلال مصنفاته ويزعم (كازيري) أنه عاش في القرن السادس الهجري.

زد على هؤلاء (الشريف الإدريسي السبتي) وقد جاء في (رسائل البشرى) أنه اشتهر في فنون الهيئة والجغرافية والفلسفة والطب والنجوم وقرض الشعر وطاف بمصر وآسيا الصغرى والقسطنطينية والأندلس وفرنسا وأنجلترا ووصف نباتات كل قطر (الإعلام ج 3 ص 34).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأصبحت هذه المصنفات أساساً دراسيا لرجال القرن التالي أمثال ابن البيطار[26] المالقي وأستاذه (أبي العباس النبطي) وهما أعظم العلماء النباتيين العرب الذين وصلتنا مؤلفاتهم ولم ينجب الشرق في هذه الأثناء من أعاظم الرجال سوى (فخر الدين الرازي) فاستطاع الأندلس بفضل شبكة علمائه أن يحمل راية الفلسفة والطب في العالم الإسلامي (لوكليرج 2 ص 72).

على أن أبا عبيد البكري صاحب (المسالك) قد خلف كتابا حول (أعشاب الأندلس وأشجارها) ينقل عنه ابن البيطار وقد وصف في مسالكه

---

26) ابن البيطار توفي عام 646 هـ أكل عقارا قاتلا فمات من ساعته (نفح الطيب ج 2 ص 874).

بعض الظواهر الغريبة من تاريخ علم الطبيعة كالأعشاب المسهلة وأشجار (أركان) التي أشار إلى وجودها في طريق أغمات إلى فاس.

وبفضل الانبعاث العربي في الأندلس صارت أوربا تنفض عنها أردية الركود وأصبح المسيحيون يتوافدون على (طليطلة) للارتشاف من معين العلم وقد استنجد (ريموند) أسقف المدينة بعلماء العرب لعلاج الفقر اللاتيني وإذ ذاك بدأت ترجمة مصنفات العرب العلمية ثم ورد (جيرار دوكريمون) على طليطلة حيث استقر نحواً من نصف قرن نقل خلالها من العربية إلى اللاتينية ستة وسبعين كتابا عربياً أو إغريقيا معرباً.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد بدأت حركة الترجمة في إفريقيا منذ القرن الرابع فهذا قسطنطين التونسي الصقلي قد أسس مدرسة (سالرنة) وهي أول مدرسة من نوعها في أُوربا وكانت مبعث أنوار الطب الحديث في العالم الغربي ولد حوالي عام 400 هـ بتونس وحمل مخطوطات طبية إلى (سالرنة) بقيت غذاء أُوربا عدة قرون وترجم إلى اللاتينية أهم كتب الطب العربي منها (زاد المسافر) لابن الجزار وكتب للرازي وإسحاق بن سليمان الإسرائيلي وألف نحواً من 24 كتاباً في الطب منها (قانون الطب) في 12 مجلدا (وفياتيكوم في الطب العام) في سبعة أجزاء ومات عام 475 هـ. ولكن لم يكد يمضي العقد الأول من القرن السابع (أي بعد غزوة العقاب التي انهزم فيها الموحدون عام 609 هـ «وكانت السبب في هلاك الأندلس» كما يقول ابن عذاري (ج 4 ص 240) حتى بدأ صرح العلم ينهار وطمست الاضطرابات ذلك الرواء الذي تألق نجمه منذ عهد الناصر الأموي طوال ثلاثة قرون.

نعم في العهد الذي كانت الأندلس خاضعة لسلطان مراكش تكونت ـ كما يقول لوكلير (ج 2 ص 240) ـ جماعة من الأطباء التفت حول ملوك المرابطين والموحدين وسار معظمهم في ركاب هؤلاء الملوك إلى المغرب حيث قضوا بقية حياتهم في العلاج وتدريس الطب ـ فأفاد المغرب كثيرا من نكبة الأندلس.

وقد أكد (الدكتور رينو) أن المغرب لم يقم على وجه العموم بدور يذكر في العصر الذي كان الطب وبقية العلوم يتألق نورها في سوريا والعراق ومصر وحتى في اسبانيا المجاورة ولكن منذ أواخر القرن الحادي عشر وخاصة الثاني عشر أبرز عصور اسبانيا المسلمة امتزج تاريخ الأندلس بتاريخ المغرب تحت راية المرابطين والموحدين ثم يقول (رينو) :

«فكيف إذن يمكن أن نفصل بين دراسة الطب بالمغرب ودراسة حياة العلماء الذين أنجبتهم الأندلس أو الذين تكونوا في مدارسها ثم ساروا في أعقاب ملوك المغرب من إشبيلية أو بتبني ابن باجة وابن طفيل وابن رشد إلخ (الطب القديم بالمغرب نشرة معهد الدروس العليا عدد 1 ص 72).

ويظهر أن أبا العلاء زهر بن زهر هو أول طبيب أندلسي ورد على المغرب بعد استيلاء المرابطين على الأندلس وقد كان طبيباً خاصا ليوسف ابن تاشفين بعد أن كان طبيب (المعتمد بن عباد) بإشبيلية.

وقد تمخضت تجارب أبي العلاء في المغرب عن تأليفه لكتاب «التذكرة» (الذي ترجمه وطبعه كولان عام 1911 بباريس) وهو مجموعة من الملاحظات سجلها لولده ابن زهر لتعريفه بالأدواء الغالبة في مراكش والأدوية المناسبة.

وبعدما توفي أبو العلاء أمر علي بن يوسف بجمع ملاحظات طبية أخرى كان أبو العلاء سجلها في أوراق وهي «المجربات» التي جمعت بمراكش عام 536 هـ والتي يوجد مخطوط منها في الأسكوريال (رقم 844).

وقد ترجم (جان دوكابو) التذكرة من العبرانية إلى اللاتينية (نسخة في مكتبة كلية الطب بباريس) ثم توالت التراجم عام 1280م والمطبوعات (عشر مرات بين 1490 و 1554م).

وهنالك (رسالة في أمراض الكلى) كتبها أبو العلاء لعلي بن يوسف ولا توجد سوى ترجمتها باللاتينية المنشورة عام 1497م كما يوجد مخطوط له حول (الخواص) بمكتبة باريس ومنه استقى ابن البيطار (خواص لحوم الحيوانات).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولأبي العلاء مقالة في شرح رسالة يعقوب بن إسحاق الكندي حول (تركيب الأدوية). وتوجد نسخة من «جامع أسرار الطب» لأبي العلاء في المكتبة الوطنية بالرباط وهي تحتوي على 185 ورقة.

وولده هو أبو مروان عبد الملك بن زهر خدم المرابطين مثل أبيه وألف (كتاب الاقتصاد) لإبراهيم بن يوسف أخى على (يوجد منه مخطوط بباريس رقم 2959) وكذلك نسخة في (الاسكوريال) حسب (رينو) محررة بالعربية ومكتوبة بحروف عبرانية وفرغ من الكتاب عام 515 هـ.

وقد تحدث ابن زهر في هذا الكتاب عن أطباء عصره فذكر أنهم يختلفون في الاعتناء بالمرضى وأن الناس يجهلون الطب لأن الطبيب الذي يستشيره مريض من المرضى يبادر فيصف له دواء من الأدوية دون تمحيص للحالة في جميع خواصها ثم ذكر أنه استدعي يوما من الأيام لدى أمير

مرابطي فوجد جماعة من الأطباء شباباً وشيوخاً لم يسبق له أن تذاكر معهم ولكنه تـأثر بتجربتهم فجرت المـذاكرة حول الـداء الـذي يشكو منـه الأمير فبادر الأطبـاء الحـاضرون ووصف كل منهم دواء فلم يوفق في نظر ابن زهر سوى واحد منهم ومع ذلك لم يستكنه سبب الداء ومما امتاز به وخالف فيه أطباء عصره الأقدمين أنه كان يستعمل الفصد للشيوخ من سبعين سنة فأقل وللأطفال كذلك حيث فصد ابنه من ثلاث سنوات فأدهش معاصريه وكان والـده أبو العلاء يوصي ببطيـخ فلسطين (أي الـدلاح) في عرف المغـاربـة في أمراض الكبد ويعالج بجس النبض والنظر إلى قوارير البول.

وقـد قرأ (أبـو الحكم ابن غلنـدو الإشبيلي) الشـاعر على أبي مروان ابن زهر عام 535 هـ كتـاب الاقتصـاد في سجن مراكش حيث مكث ابن زهر نحو العشر سنين.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد سبق لعبـد المومن أن اختصـه لنفسـه وعول عليـه في الطب ولـه ألف (الترياق السبعيني) وأنبت كرمـة عنب كان يسقيهـا من مـاء مسهـل لكراهية عبد المومن لشرب المسهلات فصار يعطيه من ثمارهـا وقـد ألف لـه كذلك (كتاب الأغذية) (ابن أبي اصيبعة ج 2 ص 66).

و (كتـاب التيسير) قـد كتبـه أبـو مروان بن زهر بطلب ابن رشـد كتذييل لكتابـه (الكليـات) وقـد ذكر ابن زهر في آخر كتـابـه أن الشخص الـذي كلف بمراقبتـه في التـأليف لم يرقـه الكتـاب لأنـه يخـالف التعليمـات الصادرة إليه ولأن فهمه يعسر على من ليس عنده مسكة من الطب لـذلـك ألحق ابن زهر «الجـامـع» بـآخر الكتـاب فهـل عبـد المـومن هـو الـذي أمره

بتصنيفه ؟ ويظهر من تحليل لوكلير لكليات ابن رشد المترجمة إلى اللاتينية أن ابن رشد ينقل عن تيسير ابن زهر.

وقد أكد (ابن عبد المالك) في (الذيل والتكملة) أن ابن رشد كان يفضل ابن زهر على غيره من أهل عصره.

وتعرض (ابن سعيد) في الرسالة التي ذيل بها (رسالة ابن حزم) في فضل علماء الأندلس ـ لعبد المالك بن أبي العلاء بن زهر فذكر أن كتاب (التيسير) مشهور بأيدي الناس بالمغرب وقد سار أيضا في المشرق لنبله (النفح ج 2 ص 778).

وقد نهج ابن زهر في كتاب (التيسير) أسلوبا جديداً في (الحكمة القياسية) مستخدما التمحيص العقلي للوصول إلى أحسن النتائج فهو طبيب التجربة والتمحيص العلمي وليس من صناع اليد كما يقول في «التيسير» أما في الميدان العملي فقد لاحظ ابن زهر أنه يأنف من إجراء العمليات الجراحية الكبرى بنفسه لأن رؤية الجروح تثير في نفسه ضعفا يوشك أن يسفر عن إغماء ولكنه لا يكره تحضير الأدوية غير مستعمل الخمر في تركيبها على سنن والده أبي العلاء (حتى ولو أوصى بذلك (جالينوس)) على خلاف (الرازي).

ولعل أبا مروان توصل بفضل قياساته الطبية وتجربته الشخصية إلى الكشف عن أمراض جديدة لم تدرس قبله فقد اهتم بالأمراض الرئوية وأجريت له عملية القصبة المؤدية إلى الرئة وتمكن هو بعد ذلك من تشريح القصبة في (مرض الذبحة) فعولج المريض.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد اختص ابن زهر في (أمراض الجهاز الهضمي) واستعمل أنبوبة مجوفة من القصدير لتغذية المصابين بعسر البلع واستعمل الحقن المغذية واكتشف (طفيلية الجرب) وسماها (صؤابة الجرب) كما بسط طرق العلاج القديمة وأوضح أن الطبيعة ـ إذا اعتبرناها قوة داخلية تدبر شأن الجهاز البشري ـ تكفي وحدها في الغالب لمعالجة الأدواء (حضارة العرب جوستاف لوبون ص 530 من الطبعة الفرنسية).

وكان أبو مروان إذا عالج مريضا نسي نفسه واستهلك في مريضه وهذا هو سر عبقريته فإذا عرضت عليه حالة شائكة حاول أن يعيشها واستمد من ذكرياته وتجاربه ومنطقه ولهذا كان نسيج وحده وانكب أطباء القرون الوسطى على دراسة كتابه (التيسير) الذي ترجم أولا عن العبرانية من طرف شخص مجهول (مخطوط بمكتبة ليد) ثم إلى الإيطالية عام 1260.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد تحدث ابن زهر في كتاب (التيسير) عن (يمين ابقراط) الذي كان يطالب بها جميع من يدرس مصنفاته ويقتضي منهم إلزام تلاميذهم بها وقد ذكر ابن زهر أن والده أبا العلاء تلقى اليمين منه عندما كان لا يزال طفلا لدى ابتدائه دراسة الطب.

أما (أبو بكر محمد بن يحي ابن الصائغ) المعروف بابن باجة فهو شيخ ابن رشد المتوفى بفاس (ابن أبي اصيبعة ج 2 ص 63) وقد استوزره أبو بكر يحي بن تاشفين مدة عشرين سنة وكان يشارك الأطباء صناعتهم فحسدوه وقتلوه مسموما عام 533 هـ (القفطي ص 265).

ولم يصلنا شيء من المؤلفات الطبية المنسوبة لابن باجة ولا يعرف إلا عن طريق ابن البيطار الذي يقتبس منها في (جامع المفردات).

ومن تلامذة ابن باجة (أبو الحسن سفيان الأندلسي) المتوفى عام 537 هـ الذي كان أحد أطباء علي بن يوسف وتعاون مع شيخه ابن باجة في تأليف (كتاب التجربتين) (لوكلير «تاريخ الطب العربي» ج 2 ص 79).

وذكر ابن عذاري في البيان المغرب (ج 4 ص 49) أن الخليفة أبا يعقوب اعتل عام 573 هـ فوفدت عليه الأطباء من الأندلس للمعالجة إلى أن وجد الراحة.

وذكر أيضا أن أبا يعقوب لما جرح في الغزوة التي مات اثرها بالأندلس كان الأطباء الحاضرون لديه هم ابن زهر وابن مقبل وابن قاسم (ج 4 ص 70).

وذكر صاحب (الأنيس المطرب) من أطباء يوسف بن عبد المومن الوزير أبا مروان عبد الملك بن قاسم القرطبي زيادة على ابن طفيل وابن رشد وابن زهر (ج 2 ص 176).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان الطبيب (سعيد الغماري) بمراكش في عصر يوسف بن عبد المومن (الإعلام لعباس المراكشي ج 1 ص 343).

ومنهم أيضا (أبو الوليد بن رشد) الذي تميز في الطب وله (كتاب الكليات) الذي ترجم إلى اللاتينية وطبع ولما ألف كتابه هذا قصد من ابن زهر أن يؤلف كتاباً في الأمور الجزئية لتكون جملة كتابيهما ككتاب كامل في صناعة الطب وكان مكينا عند المنصور ثم الناصر.

ولابن رشد تلخيص (كتاب العلل والأعراض والتصرف والحميات والأدوية المفردة وحيلة البرء).

وقد اقترح ابن رشد في شرحه لابن سينا ما يصفه الأطباء اليوم وهو (تبديل الهواء) في الأمراض الرئوية وقد أشار إلى جزيرة العرب وبلاد النوبة كمراكز شتوية (حضارة العرب غوستاف لوبون ص 531 من الطبعة الفرنسية).

وابن رشد هو أول[27] من أشار إلى الدورة الدموية وعللها في كتابه الكليات الذي استمد منه (ويليام هارفي) معظم نظرياته.

وهناك أطباء آخرون منهم :

(أبو الحجاج يوسف بن موراطير) طبيب المنصور والناصر (الذي رافقه إلى تونس) والمستنصر وقد مات بالنقرس في مراكش ومن تلامذته أحمد بن عبد الله الكنباري الذي درس الطب على عبد العزيز بن مسلمة الباجي وعندما ألف ابن أبي اصبيعة كتابه كان هو طبيبا في اشبيلية عند بني هود.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبو مروان عبد الملك بن قبلال الغرناطي طبيب المنصور والناصر.

أبو إسحاق إبراهيم الداني (من بجاية) كان أمين البيمارستان وطبيبا بمراكش حيث توفي في أيام المستنصر.

أبو يحيى بن قاسم الإشبيلي صاحب (خزانة الأشربة والمعاجين) وكان والده في خدمة يوسف وتوفي أبو يحيى بمراكش أيام المستنصر وجعل في موضعه في الخزانة ولده (طبقات الأطباء ص 79).

---

27) ابن النفيس المصري اكتشف الدورة الدموية الصغرى وهي الدورة الرئوية قبل الغربيين بثلاثة قرون (نشرة المعهد المصري ج 26 عام 1934 ـ بحث بقلم (ماكس مايرهوف ص 33) وقد أشار ابن النفيس إلى ذلك في «الكتاب الشامل في الطب» الذي كان يحتوي على 300 مجلد وقد أهدى مؤلفه منه 80 مجلدا لمستشفى قلاوون.

أبو جعفر (أحمد بن حسان الغرناطي) طبيب المنصور وهو الذي رافق ابن جبير في رحلته ودفن بفاس وقد ألف للمنصور (كتاب تدبير الصحة) وكان ولده أبو العلاء طبيبا للمستنصر.

(أبو محمد الشذوني الإشبيلي) تلميذ عبد الملك بن زهر كان جيد العلاج وطبيب الناصر.

(أبو الحسين بن أسدون) الملقب بالمصدوم تلميذ عبد الملك بن زهر كان دينا شاعرا معتنيا بالطب يطلبه المنصور للعلاج (ص 79) وتلميذه عبد العزيز بن مسلمة الباجي المعروف بابن الحفيد كان شاعرا وطبيبا للمستنصر.

(أبو جعفر بن الغزال) طبيب المنصور الذي كان يعتمد عليه في تركيب الأدوية والمعاجين.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(أبو بكر بن القاضي بن الحسن الزهري) تلميذ ابن رشد وطبيب أبي علي بن عبد المومن صاحب إشبيلية وكان يطب الناس من دون أجرة.

(أبو إسحاق بن الحجر) كبير أطباء الرشيد الموحدي (الذيل والتكملة).

(أحمد بن مضا) اللخمي القرطبي لقي عياضا بسبتة ومهر في الطب (الديباج لابن فرحون ص 65).

(ابراهيم بن صواف الحجري الشاطبي) تعلم الطب وتصدى للعلاج بطنجة واستقر آخر عمره بفاس وتوفي في نحو 506 هـ (الجذوة ص 86).

الطبيب (أحمد بن عبد الله بن موسى القيسي الإشبيلي) سكن مدينة فاس وتوفي بها عام 571 (الجذوة ص 70) وهو تلميذ أبي بكر بن العربي.

(أبو الحسن علي بن أحمد الشلطيشي) الطبيب الشاعر استوطن مراكش وتوفي بها عام 565 أو 566 هـ (الذيل والتكملة).

(علي بن عتيق الخزرجي) نزيل فاس كان شاعرا ماهرا في الطب موفق العلاج (الذيل والتكملة) وقد حدث في بجاية وله تآليف توفي عام 598 هـ (الجذوة ص 306).

(أبو يحي هانىء بن الحسن اللخمي الغرناطي) له مشاركة في الحديث والأُصول والطب تتلمذ لابن فرتون بفاس وتوفي عام 614 هـ (الجذوة ص 335).

الطبيب الشاعر (محمد بن قاسم الأنصاري الجياني) سكن بسبتة وفاس وأخذ عن علمائها كأبي القاسم التجيبي (الجذوة ص 192).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد رحل إلى المشرق أطباء مغاربة منهم (علي بن يقظان السبتي) الطبيب الشاعر الأديب الذي توجه إلى مصر عام 544 هـ ثم إلى اليمن والعراق (القفطي ص 160) وكذلك (يوسف بن يحي بن إسحاق السبتي أبو الحجاج) نزيل حلب ويعرف في سبتة بابن سمعون كان طبيبا من أهل فاس «وقرأ يوسف الحكمة ببلاده (أي سبتة) فساد فيها» (القفطي ص 256) وذكر لوكلير أنه كان طبيب (ميمون أمير حلب) وطبيب (الملك الظاهر) وصديقا للقفطي (ج 2 ص 193).

(أبو جعفر عمر بن علي القلعي المغربي) طبيب ماهر في الأدوية والأمراض وعلاجها كتب ملاحظات على كتب ابن سينا ولد بالمغرب وعاش في دمشق حيث كان له دكان للعيادة توفي عام 576 هـ (لوكلير ج 2 ص 40).

(موسى بن ميمون القرطبي الذي يعتقد اليهود أنه لم يظهر عندهم مثله منذ موسى عليه السلام قرأ على أحد تلامذة ابن باجه ولم يتصل لا بإبن باجه ولا بإبن رشد وقد أظهر الإسلام إلى أن بلغ الثلاثين وهو إبان دراسته وفي عام 1160م توجه مع عائلته إلى فاس وبعد خمس سنوات نزل في عكرة ثم مصر حيث استقر بالفسطاط وأصبح من أطباء البلاط أيام صلاح الدين وقد ذكر ابن أبي أصيبعة أنه مهر في ممارسة الطب بينما أنكر ذلك القفطي وتبعه لوكلير (ج 2 ص 58).

أما المستشفيات فما أنشأه أبو يوسف (دار الفرج) في شرقي الجامع المكرم وهو مارستان المرضى يدخل العليل فيه فيعاين ما أعد فيه من المنازل والمياه والرياحين والأطعمة الشهية والأشربة المفوهة ويستطعمها ويسيغها فتنعشه من حينه (الاستبصار في عجائب الأمصار).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ووصف (عبد الواحد المراكشي) المستشفى الموحدي بمراكش فقال : «وبنى بمراكش بيمارستانا ما أظن أن في الدنيا مثله وذلك أنه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع في البلد وأمر البنائين بإتقانه على أحسن الوجوه فاتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح وأمر أن يغرس فيه مع ذلك من جميع الأشجار المثمومات والمأكولات وأجرى فيه مياها كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على أربع برك في وسط إحداها رخام أبيض ثم أمر له من الفرش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحرير والأديم وغيره بما يزيد على الوصف ويأتي فوق النعت وأجرى برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة خارجا عما جلب إليه من الأدوية وأقام

فيه الصيادلة[28] لعمل الأشربة والأدهان والاكحال وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء فإذا نقه المريض فإن كان فقيرا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل وإن كان غنيا دفع له ماله... ولم يقصره على الفقراء دون الأغنياء بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل إليه وعولج إلى أن يستريح أو يموت وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله يعود المرضى... ولم يزل مستمرا على هذا إلى أن مات (المعجب ص 177).

وذكر ميي Millet (في كتابه الموحدون) المؤلف عام 1923 (ص 129) أن هذا المستشفى لا يخلف وراءه مصحات أوربا المسيحية فحسب بل تخجل منه حتى اليوم مستشفيات باريس.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا بدع إذا كان مستشفى الموحدين بهذه المثابة بالنسبة لأوربا فقد قال (ولتر) في مختصر التاريخ : «ازدهر علم الطب والتداوي عند العرب على حين كان الأوربيون يجهلون هذا العلم الشريف ويحتقرون أربابه إذ أن الكنيسة كانت قد حرمته عليهم وحصرت التداوي في زيارة الكنائس والاستشفاء بذخائر القديسين وبالتعاويذ والرقى التي كان يبيعها رجال الدين» إلى أن قال : «وكان الأوربيون يستنكفون من النظافة لأنها تشبه الوضوء عند المسلمين».

---

28) ذكر البيروني المعروف عند الأوربيين بـ Maître Aliboron في مقدمة (كتاب الصيدلة) في الطب أن لفظة الصيدنة بالنون أكثر اشتهارا من الصيدلة باللام (ماكس مايرهوف ـ نشرة المعهد المصري ج 22 عام 1940.

وفي خصوص فاس ذكر (علي بن ميمون) في تأليف له استطرد فيه الكلام على فاس أنه ما رأى مثلها ومثل علمائها في حفظ نصوص كل علم مثل النحو والفرائض والحساب والمنطق والتوحيد والبيان والطب وسائر العلوم العقلية... ما رأى مثلها ومثل علمائها فيما ذكر في المغرب وتلمسان وبجاية وتونس والشام والحجاز ومصر ورأى ذاك بالمشاهدة (سلوة الأنفاس ج 1 ص 74).

غير أن ابن خلدون أكد أنه لم يشاهد في المائة الثامنة من سلك طريق النظار بفاس لأجل انقطاع ملكة التعليم عنهم (نشر المثاني ج 2 ص 97).

ولكن حوالي 620 هـ أي بعد مرور بضع سنوات على ظهور المرينيين (عام 613 هـ) تحدث المراكشي صاحب (المعجب) عن فاس فذكر أنها حاضرة المغرب وموضع العلم منه اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة حيث رحل علماء المدينتين ونزل أكثرهم بفاس «وما زلت أسمع المشائخ يدعونها بغداد المغرب» (ص 220)[29].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

29) أكد ليفي بروفنصال «أنه بفضل ملوك بني مرين لم تكن عاصمة فاس في القرن الرابع عشر الميلادي لتحسد العواصم الإسلامية الأخرى (هسبريس عام 1952 ص 2).
وقد اعتبرت فاس من طرف باديا ليبليش المعروف بعلي باي العباسي بمثابة أثينة إفريقيا ومعلوم أن (أثينة) هي عاصمة الفكر اليوناني كما وصف (دلفان) في كتابه عن القرويين جامعة فاس بأنها أول مدرسة في الدنيا (ص 12).
وذكر الدكتور رينو أن مدينة «فاس مهد الحضارة التي تجلب العلماء والطلبة من العالم - أجمع وهي كعاصمة أثينة بالنسبة للإسلام حيث كانت تدرس جميع العلوم والفنون والآداب» (الطب القديم بالمغرب ص 77) -.

وذكر لوكلير أنه مند اندراس اعلام التدريس في قرطبة والقيروان لم يكن لفاس ولا لباقي مدن المغرب أي نظام مقبنول في التعليم (ج 1 ص 575).

وقد ازدهر في هذا الابان بالشرق والأندلس خاصة علم النبات وطب العيون وظهر أمثال النبطي وتلميذه ابن البيطار وهما أندلسيان ورشيد الدين الصوري المتوفى عام 639 وهو أكبر نباتيي العرب طرافة وأصالة.

والنبطي هذا هو أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج المعروف بابن الرومية[30]. ولد في اشبيلية عام 561 هـ (وفي رواية أخرى 567 هـ) ودرس الأعشاب شخصيا دون اعتماد على ديسقوريدس وجالينوس واقتبس منه تلميذه ابن البيطار ذوقه الخاص وعلمه الواسع وقد رحل إلى الشرق عام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

= وتحدث (دوكامبو) عن جامعة القرويين فلاحظ «أنها كانت في العصور الوسطى ملتقى الأجانب من مختلف الجنسيات والأديان» (المغرب المعاصر مملكة تنهار - باريس 1886 ص 12).

وقد أشار (كابريال شارمس) في كتابه «سفارة إلى المغرب» (ص 254) إلى عصر المجد الذي كان المغرب فيه ملتقى جميع العلوم وجميع الفنون التي تنشر من هنالك في أوروبا، ثم ذكر مدينة فاس التي يرى معظم مسلمي إفريقيا أنها أعظم مدينة مقدسة بعد مكة نظرا لأصلها وللدور الذي قامت به في تاريخ الإسلام فقد كانت فاس مركز القوة العربية عندما كان نورها يتألق وحتى عندما أصبحت مراكش عاصمة المغرب السياسية كانت فاس بفضل معاهدها الشهيرة ومساجدها عاصمة الغرب الإسلامي فكريا وأدبيا بل «إن مدارسها كانت طوال مدة مديدة أولى مدارس العالم» (ص 297) وهنا في هذه المدينة «انبثق ما يسمى بالحضارة الغربية التي أشع نورها في اسبانيا فأضاء جوانب أوربا المتوحشة» (ص 298)...

30) ذكر ابن الخطيب في الإحاطة أن ابن الرومية ويقال له ابن العشاب كان إماما في الحديث حافظا ناقدا... قام على الصناعتين لوجود القدر المشترك بينهما وهما الحديث والنبات إذ موادهما الرحلة والتقييد وتصحيح الأصول.

613 هـ (أو 614) بعدما درس أعشاب الأندلس ومر بالمغرب حيث أشار في كتابه إلى أعشاب ومدن مغربية ودعاه الملك الأفضل للاستيطان بالقاهرة فأبى وعند وصوله إلى مصر لم يكن قد مر على وفاة موسى بن ميمون إلا القليل.

وقد صنف كتابا حسنا كثير الفائدة، في الحشائش ورتب فيه أسماءها على حروف المعجم وفاق أهل زمانه في معرفة النبات وقعد في دكان لبيعه توفى باشبيلية عام 638 هـ (النفح ج 1 ص 635).

أما ابن البيطار فقد ذكر لوكلير (ج 2 ص 225) أنه أعظم نباتيي العرب وأنه لا يضاهيه من أطباء العرب سوى الغافقي والشريف الإدريسي وأبي العباس النبطي ورشيد الدين الصوري الذين درسوا كلهم الطبيعة ووسعوا دائرة المعلومات البشرية وقد استفاد ابن البيطار مما كتبه الصوري وتنقل في جبال الشام صحبة رسام كان يصور له الأعشاب وخلف لنا أعظم مجموعة في العلوم الطبيعية الطبية عند العرب. وقد رحل إلى الشرق عام 1216 أو 1217 م ومر بالمغرب وسجل ملاحظات شتى حول الأعشاب وبعض الأسماء البربرية التي اندرجت منذ ذاك في القاموس العربي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وذكر المقري أن ابن البيطار حشر في كتابه ما سمع به وقرأه في تصانيف الأدوية المفردة، ككتاب الغافقي وكتاب الزهراوي وكتاب الشريف الإدريسي السبتي وغيرها وضبطه على حروف المعجم كان أوحد زمانه في معرفة النباتات.

وكتابه (جامع المفردات) أكمل وأوسع ما صنفه العرب في الطب وقد ترجمه لوكلير إلى الفرنسية وهو يتضمن الفي وصفة من أوصاف العقاقير.

وكتاب الأدوية للشريف الإدريسي الذي أشار إليه ابن أبي أصيبعة والذي هو ملىء بالملاحظات الشخصية قد اقتبس منه ابن البيطار في مائتي موضع من كتابه في الأعشاب (لوكليرج 2 ص 8) واعتمد عليه وحده في ثلاثين موضعا (ص 68) وتحدث عن أعشاب المغرب وعرف أحيانا بأسمائها البربرية وهو مغربي صميم خلافا للحسن الوزان الذي يزعم أنه ولد في صقلية (لوكليرج ج 2 ص 65).

ولكن مرت فترة عصيبة بالشرق فتت في عضد الفنون والفلسفة والتعاليم بسبب غارات المغول الذين مالبثوا أن اعتنوا بالعلماء بعد إسلامهم بفضل جهود الطبيب قطب الدين الشيرازي تلميذ الفخر الرازي (لوكليرج ج 2 ص 121) وتخرج عند ذاك أمثال القزويني العالم في الطبيعة الذي يشبهه الغربيون بالعالم بلين وبالأندلس ورث بنو الأحمر حضارة العرب من أوربا المسلمة وأصبحت غرناطة التي ظلت تابعة لبني مرين فترة من الزمن ملجأ العلم والفن في أوربا المسلمة إلى سقوطها في يد الإسبان عام 886 هـ.

وقد تأزمت الحالة في المغرب كذلك بعد نكبة أبي الحسن في (إفريقيا) و(طريف) بالأندلس وتوالى الازمات الاقتصادية والأوبئة التي جرفت بالعالم أجمع في ذلك العصر وكابد المغاربة من جرائها المرائر فانتشر الفقر والمرض وانتكس العمران وهلك العلماء وكادت تندرس معالم العرفان.

وقد أدى هذا الاضطراب إلى سقوط المراكز المهمة في المغرب تدريجيا في قبضة البرتغال الذي استمر احتلاله لها أزيد من ثلاثة قرون فكان ذلك رد فعل لثلاثة القرون التي استمرت الأندلس خاضعة طوالها للمغرب.

وفي الشرق بدأ عصر الانحطاط العلمي في القرن الثامن وبداية التاسع على اثر السيول الجارفة التي حطمت في طريقها معالم المدنية تحت امرة جنكيزخان وتيمورلنك.

وقد لاحظ لوكلير أنه أمكن في هذه الفترة تسجيل نحو الأربعين عالما نصفهم من الأندلس لا يوجد من بينهم طبيب مشهور لقلة الطرافة والاكتفاء بالجمع والتأليف (ج 2 ص 258).

وقد ظهر في العصر المريني بالمغرب أطباء منهم : أبو العباس الشريشي السلوي الأصل أخذ الطب في المشرق عن ابن بنان توفي بالفيوم من مصر عام 641 هـ (الاعلام لعباس المراكشي ج 1 ص 351).

وأكد رينو في كتابه «الطب القديم بالمغرب» أنه بعد عصر بني مرين سادت في المغرب الفوضى فأفل نجم فاس إبان السعديين.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد تحدث ليفي بروفنصال في كتابه «مؤرخو الشرفاء» عن نهضة المغرب من الوجهة الأدبية فمن الغريب ـ كما يقول ـ أن لا نجد مثل هذه النهضة في العلوم الطبية.

وممن نبغ من الأطباء في هذا العصر عبد الرحمن سقين القصري ثم الفاسي المحدث كان مشاركا في الأدب والتصوف والطب يقرىء الفية ابن سينا توفي عام 956 هـ (النيل ص 153) وكذلك أبو القاسم الوزير الغساني.

كانت له مهارة في الطب وكان من أطباء السلطان أحمد المنصور الذهبي وأحد خواصه ألف كتبا في الطب منها شرح نظم ابن عزرون في الحميات «وحديقة الأزهار في شرح ماهية العشب والعقار» واختصره في جزء صغير وقد ألفه للسلطان المذكور عام 994 هـ (النشر ج 2 ص 125).

وقد نشر الدكتور رينو في نشرة معهد الدروس المغربية العليا (ج 18 ص 195) دراسة حول جديقة الأزهار ذكر فيها أن هذا الكتاب يمتاز بمنهاجه الواضح جدا في الوصف النباتي الذي يتسم غالبا بطابع من الأصالة والطرافة وقلما يخلو الكتاب من الإشارة إلى منابت الأعشاب التي توجد بالقرب من فاس وبذلك يزودنا بمعلومات ثمينة حول معظم المواد الصيدلية بفاس فهي إذن محاولة مفيدة لترتيب ثلاثي يدخل عنصرا جديدا في وصف أعشاب المدرسة الصيدلية الشرقية».

الرياضيات :

وقد أسهم الغرب الإسلامي أي المغرب الكبير والأندلس في بلورة هذا الاشعاع العلمي العربي فظهر ابن حمزة المغربي في القرن الرابع واستعمل طرقا جديدة في اللوغريتم، واشتهر في الأندلس أبو عبيدة مسلم ابن أحمد ويحيي بن يحي المعروف بابن السمينة وأبو القاسم أصبغ بن السمح (له تآليف منها المدخل إلى الهندسة في تفسير أقليدس وكتاب كبير في الهندسة) وأبو القاسم بن الصفار وأبو الحسن الزهراوي (كان عالما بالعدد والطب والهندسة له كتاب شريف في المعاملات) وأبو الحكم عمر الكرماني (من الراسخين في العدد والهندسة) وأبو مسلم بن خلدون (وكان متصرفا في الفلسفة والهندسة والنجوم والطب) وتلميذه ابن برغوث (كان عالما بالعلوم الرياضية) وتلميذه أبو الحسن مختار الرعيني (كان بصيرا بالهندسة والنجوم) وعبد الله بن أحمد السرقسطي (ناقد في الهندسة والعدد) ومحمد بن الليث (بارع في العدد والهندسة) وأبو حى القرطبي (بصير بالهندسة رحل إلى مصر عام 442 هـ) وأبو الوقشي الطليطلي (الهندسة) (النفح ج 2 ص 874).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن العلماء الذين برزوا في الهندسة والرياضيات بالمغرب الأقصى في مختلف العصور.

علي بن خلف بن غالب استوطن الأندلس ثم قصر كتامة أخذ الحساب عن أبي العباس ابن عثمان الشلبي (الذيل والتكملة لابن عبد الملك).

صنع عبد المومن بن علي مقصورة من الخشب لها ستة أضلاع تسع أكثر من ألف رجل وكان تولى صنعتها رجل من أهل مالقة يقال له الحاج يعيش... وقد وضعت على حركات هندسية ترفع بها لخروجه وتنخفض لدخوله... فإذا قرب وقت الرواح إلى الجامع يوم الجمعة دارت الحركات بعد رفع البسط عن موضع المقصورة فتطلع الاضلاع في زمان واحد ولا يفوق بعضها بعضا بدقيقة وكان باب المنبر مسدودا فإذا قام الخطيب ليطلع عليه انفتح الباب وخرج المنبر في دفعة واحدة بحركة واحدة لا يسمع لها حس ولا يرى تدبير (الحلل الموشية) وذكر المقرى في النفح أن آثار هذه المقصورة كانت باقية عام 1010 هـ.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المهندس عبيد الله بن يونس الأندلسي الذي استخرج المياه التي تسقى بها بساتين مراكش بصنعة هندسية (نزهة المشتاق للإدريسي ص 67 من الجزء المطبوع حول إفريقيا والأندلس).

وأبو جعفر بن الحسن بن أحمد بن حسان القضاعي كان عالما بالهندسة وسائر التعاليم من الحساب وغيره أصله من بلنسية انتقل إلى فاس حيث توفي في حدود ستمائة (الجذوة لابن القاضي ص 72).

عبد الله بن محمد بن حجاج المعروف بابن الياسمين ولد بفاس أواسط القرن السادس وهو بربري من بني حجاج بقلعة فندلاوة أخذ العلوم

الرياضية عن شيخه محمد بن قاسم قال ابن الأبار في التكملة : «وله أرجوزة في الجبر قرئت عليه وسمعت منه باشبيلية في سنة 587 هـ» (ص 531) وكان أحد خدام المنصور وولده الناصر كما في (الذخيرة السنية) وقد وجد ذبيحا بمراكش سنة 600 أو أوائل 601 هـ وتوجد نسخ من أرجوزته في (الجبر والمقابلة) بخزائن باريز وبرلين واكسفورد والاسكوريال والقاهرة ومن شراح الأرجوزة حسب (بروكلمان) ابن الهائم المصدري المتوفى سنة 815 هـ (وهو مخطوط باكسفورد والقاهرة) والقلصادي وهو «تحفة الناسمين في شرح أرجوزة ابن الياسمين» (مخطوط بخزانة مكتب الهند بلندن والخزانة العامة بالرباط) وسبط المارديني المتوفى سنة 900 ويسمى اللمعة المارديية في شرح الياسمينية» (مخطوط ببرلين والقاهرة وسطمبول) وله أرجوزة في أعمال الجذور توجد بخزانة الاسكوريال (راجع بحث الأستاذ محمد الفاسي مجلة المغرب سنة 1942 السنة الأولى عدد 1) وممن شرح الأرجوزة سعيد العقباني التلمساني الملقب برئيس العقلاء (نيل الابتهاج ص 106).

أبو عمران موسى بن حسن بن أبي شامة من أهل المعرفة بالبناء والهندسة وهو صانع البيلة والخسة بصحن القرويين عام 599 هـ (الجذوة بين 37 و57).

وفي عهد المرينيين ظهر كثير من المهندسين ففي عام 674 هـ خرج يعقوب المريني إلى ضفة وادي فاس «ومعه أهل المعرفة بالهندسة والبناء» فوقف على المدينة البيضاء (فاس الجديد) حتى حدت وشرع في حفر أساسها (السلوة ج 3 ص 145).

محمد بن عبد الله المعروف بابن حجلة شيخ ابن البناء في الحساب (الجذوة ص 76).

يوسف بن أحمد بن حكم التجيبي قاضي الجماعة بفاس أخذ عنه ابن البنا الحساب والتعاليم (الجذوة ص 346).

محمد بن علي المعروف بالشريف (شهرة لا نسبا) قاضي الجماعة ذكر أبو حيان أنه كان يدرس بمراكش سيبويه والفقه والحديث ويميل إلى الاجتهاد وله مشاركة في الحساب ويغلب عليه البحث لا الحفظ وهو من تلاميذ أبي الحسن بن القطان مات بمراكش عام 682 هـ وذكر في (نيل الابتهاج) أن ابن البنا المراكشي من تلاميذه ذاكره مسائل من كتاب الأركان لا قليدس (الاعلام ج 3 ص 192).

أبو العباس بن البنا العددي المراكشي له (التلخيص في الحساب) ومقدمة في اقليدس واختصار في الفلاحة عام 721 هـ على قول ابن قنفذ (نيل الابتهاج ص 42) كان يقصد شيخه عبد الرحمن المزميري فيما أشكل عليه من مسائل الهندسة (ص 137) وله أيضا جزء في المساحات (الجذوة ص 77).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذكر ابن القاضي في (درة الحجال) (القسم الأول ص 5) أن له كتابا في (الجبر والمقابلة) سماه (الأصول) وكذلك (رفع الحجاب عن تلخيص أعمال الحساب) زيادة على (تلخيص أعمال الحساب) ـ وذكر عباس بن ابراهيم في الاعلام أن كتاب الجبر والمقابلة موجود في المكتبة الخديوية (ج 1 ص 379) وذكر القلوسي في هذا الكتاب أنه مستنسخ من كتاب القرشي والتلخيص مستخرج من كتاب في التعاليم لبعض الناس (ج 1 ص 380 نقلا عن صاحب الإفادات والإنشادات) وممن شرح تلخيص ابن أحمد بن رجب ابن طنبغا القاهري المتوفى عام 850 هـ المعروف بابن المجدي وممن اختصره

وسماه بالحاوي أبو الشهاب القرافي المعروف بابن الهائم المتوفى عام 815 ونظمه محمد بن غازي المكناسي وابن القاضي صاحب الجذوة (ص 384) وممن شرح التلخيص أبو العباس بن قنفذ في كتاب سماه «حط النقاب عن وجوه الحساب» ولابن قنفذ هذا (بغية الفارض من الحساب والفرائض) (الاعلام ج 2 ص 17).

ابن الشاط قاسم بن عبد الله كان عارفا بالأصلين والحساب له (غنية الرائض في علم الفرائض) توفي عام 723 هـ (الدرة لابن القاضي ص 437).

الحسن بن عثمان بن عطية التجاني المكناسي الونشريسي من أهل الحساب شاعر فرضي تلميذ أبي البركات البلفيقي ولد في حدود 724 هـ (السلوة ج 3 ص 260).

علي اليفرني المكناسي الشهير بالطنجي إمام في الفرائض والحساب في وقته توفي عام 734 هـ (الدرة ص 441) وهو ابن عبد الرحمن بن غيم (نيل الابتهاج لابن بابا السوداني ص 192).

أحمد بن عبد الله العطار المليلي الفاسي توفي عام 741 هـ (الجذوة ص 57).

عبد الله بن محمد بن أحمد التلمساني ولد سنة 748 هـ قرأ الهندسة بكتاب اقليدس على والده بفاس (نيل الابتهاج ص 127).

محمد بن علي السطي ختم كتاب الحوفي على أبي الحسن علي الطنجي اليفرني وله تقييدات عليه توفي غريقا في أسطول أبي الحسن عام 749 هـ (درة الحجال لابن القاضي ص 218).

أبو القاسم محمد ابن جزي صاحب (القوانين الفقهية) له باع مديد في الحساب توفي عام 757 هـ (السلوة ج 3 ص 224).

علي بن أحمد التلمساني موقت القرويين أيام أبي عنان المريني صنع المنجانة المقابلة للمدرسة العنانية عام 758 هـ (جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 31).

عبد الرحمن اللجائي الفاسي تلميذ ابن البنا في العلوم التعليمية توفي عام 773 هـ حسب تلميذه ابن قنفذ (السلوة ج 1 ص 304).

ابن قنفذ القسنطيني له شرح على تلخيص ابن البنا سماه (حط النقاب عن وجوه الحساب) (درة الحجال ص 61).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحمد الأوسي المراكشي المعروف بابن الشماع إمام في الحساب عارف بالمنطق والهندسة (من أهل القرن الثامن) (الاعلام ج 2 ص 10).

محمد الشريف التلمساني من علماء الحساب والهندسة والهيئة كان لسان الدين ابن الخطيب إذا ألف تأليفا بعثه إليه وطلب منه أن يكتب عليه بخطه (نيل الابتهاج ص 258).

جمال الدين المارديني خليل بن يوسف المهندس المتوفى عام 806 هـ له (غاية الانتفاع بالبخش الذي في طرف قوس الانتفاع) طبع حجر فاس.

عمر الرجراجي خطيب جامع الأندلس إليه تنسب الشجرة التي تعمل في قول الحوفي في النزلات توفي عام 810 هـ (الدرة ص 416). (السلوة ج 3 ص 64).

سعيد العقباني التلمساني (ولد عام 720 هـ وتوفي عام 811 هـ) شارح تلخيص ابن البنا وقصيدة ابن ياسمين في الجبر والمقابلة يلقب برئيس العقلاء (نيل الابتهاج ص 106).

وله (بغية ذوي الرغبات في شرح عويص رسالة الماردیني في الربع المجيب في الميقات) (طبعت في حجر فاس مرتين) وقد طبع كتابه (كشف الاسرار عن علم حروف الغبار) مرارا بحجر فاس.

علي بن عبد الله بن هيدور التادلي إمام الفرائض والحساب له (شرح على تلخيص ابن البنا) في الحساب و(تقييد على رفع الحجاب) توفي عام 816 هـ (الدرة ص 443).

محمد القوري حافظ فاس حيسوبي طبيب توفي عام 872 هـ (السلوة ج 2 ص 116).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أمير المومنين في الفرائض والحساب ابراهيم المصمودي توفي بفاس عام 912 هـ أو 913 هـ (درة الحجال ص 107) وسلوة الأنفاس (ج 2 ص 4) تلميذه ابراهيم الزواوي فقيه كنو من السودان (الدرة ص 111).

محمد بن غازي المكناسي شيخ الجماعة بفاس له (منية الحساب). ونظم في شرحها تلخيص ابن البنا فزاد عليه وله «إمتاع ذوي الاستحقاق ببعض مراد المرادي وفوائد أبي إسحاق» (الجامع المستوفي بجداول الحوفي) (درة الحجال ص 224 ونيل الابتهاج (ص 360) وقد توفي عام 917 هـ.

أحمد الغزاني من بيت بني غزانة بفاس كان أستاذا فرضيا حيسوبيا له معرفة بالفلك توفي عام 920 هـ (درة الحجال ص 91).

محمد بن هلال إمام التعاليم في سبتة وشارح المجسطي في الهيئة مات بالطاعون عام 949 (الاعلام ج 3 ص 263).

عبد الواحد بن أحمد الونشريسي نظم تلخيص ابن البنا في الحساب توفي قتيلا عام 955 هـ (الدرة ص 382).

عبد الحق بن أحمد المصمودي السكتاني العددي شيخ الجماعة في الفرائض والحساب بفاس أخذ عنه المنجور الحساب توفي عام 955 هـ (السلوة ج 3 ص 294).

علي بن حسين الورياجلي العددي أخذ الحساب عن عبد الحق المصمودي السكتاني بفاس وكان ناقدا فيه وعنه أخذ المنجور توفي عام 961 هـ (السلوة ج 3 ص 311).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد الله بن علي الهبطي كانت له معرفة بالرياضيات توفي عام 968 هـ (الدرة ص 345).

محمد بن يوسف المعروف بابن مشون من أساتذة المرية رحل إلى سبتة نظم رجزا في علم الجبر والمقابلة توفي عام 989 هـ (درة الحجال ص 176).

أبو راشد يعقوب بن يحي اليدري إمام الفرائض والحساب توفي عام 999 هـ (السلوة ج 3 ص 318) كان قاضيا بتامسنا (درة الحجال ص 109).

السلطان أحمد المنصور الذهبي له قدم راسخ في المنطق والحساب والهيئة والهندسة (نشر المثاني ج 1 ص 77) فهم كتاب أقليدس من غير شيخ لعزة وجوده بالمغرب فكان يفك شكلا في كل يوم (درة الحجال ص 51) وتضلع في الجبر والمقابلة (السلوة ج 3 ص 226).

أحمد بن قاسم معيوب كان له معرفة بالتعاليم من حساب وهيئة توفي بمراكش عام 1022 هـ (الاعلام ج 2 ص 82).

أحمد بن القاضي المكناسي المؤرخ له «غنية الرائض في طبقات أهل الحساب والفرائض» (مفقودة) والمدخل في الهندسة ونظم تلخيص ابن البنا (النشر ج 1 ص 129) وظهرت في وقته الحرف المهمة التي لم تكن بالمغرب منها الحساب والهندسة والمساحات (الاعلام للمراكشي ج 1 ص 46). توفي عام 1025 هـ.

الرحالة محمد بن القاسم ابن القاضي أوحد عصره في علم الحساب والتنجيم والجدول له (البرق الوامض في الحساب والفرائض) توفي قتيلا بفاس عام 1040 هـ (السلوة ج 3 ص 287).

محمد بن أحمد الجنان الأندلسي الفاسي أخذ عن المرغيثي وتوفي عام 1050 هـ (السلوة ج 3 ص 58).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحمد القلصادي موقت القرويين كان يدرس كتاب القلصادي توفي عام 1063 (نشر المثاني للقادري ص 207).

أما علي بن محمد القلصادي (810 ـ 891 هـ) فاصله من بسطة، واستوطن غرناطة ومات بباجة بتونس له شرح الأرجوزة الياسمينية في الجبر والمقابلة وقانون الحساب وكشف الأسرار في الجبر (الاعلام للزركلي ج 5 ص 163) وله أيضا شرحان على تلخيص ابن البنا والحوفي والغنية في الفرائض أخذ بمصر عن ابن حجر كما في رحلته (النفح ج 2 ص 684).

وقد طبع كتابه (كشف الأسرار عن علم حروف الغبار) مرارا بحجر فاس.

محمد بن أحمد الصباغ البوعقيلي مهر في الحساب والهيئة له شرح على المنية لابن غازي وله (اليواقيت في الحساب والفرائض والمواقيت) توفي عام 1076 وهو تلميذ أبي العباس ابن القاضي (السلوة ج 1 ص 239).

يعقوب البستاني إمام الفرائض والحساب كان يقرئها في الهواء فإذا أراد عاملها أن يصورها في اللوح ضربه بالقضيب على يده (الجذوة ص 350).

أحمد التقليتي العارف بالحساب والتعديل والمساحات وبعض مبادىء الهندسة وهو شيخ جماعة الفنون المذكورة بمراكش وهو معاصر لمؤلف درة الحجال (الدرة ص 92).

محمد بن سعيد السوسي المرغيثي صاحب (المقنع) في التوقيت توفي عام 1089 هـ (نشر المثاني ج 2 ص 37).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد بن محمد بن سليمان الفاسي الروداني كان يتقن فنون الرياضة واقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي ويعرف أنواع الحساب والمقابلة والارتماطيقي والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره توفي عام 1094 هـ (الاعلام ج 4 ص 334 نقلا عن خلاصة الأثر).

وقد تنافس الناس في اقتناء الآلة التي اخترعها وكان يبيعها بثمن غال وقد ألف رسالة في وصفها وهي منشورة في الاعلام (ص 350) والآلة عبارة عن كرة مستديرة مسطرة دوائر ورسوما ركبت عليها أخرى مجوفة منقسمة نصفين فيها تخاريم وتجاويف (نشر المثاني ص 87).

أحمد بن عبد العزيز الهلالي نزيل مدغرة بسجلماسة كان إماما في تحقيق علوم منها الهندسة (نشر المثاني ج 2 ص 273).

محمد بن الشيخ محمد بن محمد بن ناصر نادرة الزمان في علم الحساب والهندسة وتوفي عام 1126 هـ (الاعلام ج 5 ص 21).

عبد الرحمن الفاسي كان منفردا بتحقيق التعاليم ومنها الحساب فاق أهل وقته في ذلك (السلوة ج 1 ص 315) وتخرج عليه في التعاليم ولده محمد (فتحا) الذي أخذ الناس عنه الحساب (ص 320) وتوفي عام 1096 هـ.

أحمد بن سليمان الجزولي شيخ الإسلام صاحب النظم الذي أكمل به رجز أبي سالم بن قاسم السملالي في الحساب وشرحه بشرحين توفي عام 1133 (الاعلام ج 2 ص 168).

أبو العباس أحمد بن سليمان ذو التآليف العديدة في الحساب وغيره توفي بمراكش عام 1133 هـ (الاستقصا ج 4 ص 54).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد بناني المحوجب كان إليه المرجع بفاس في الفرائض والحساب وتوفي عام 1140 هـ (السلوة ج 1 ص 169).

أحمد بن الأمين الوداني اليعقوبي كان عارفا بالهندسة أقرأها بمراكش كان يتذاكر مع سيدي محمد بن مولاي عبد الرحمن الذي حل أشكالها وبرع فيها بقوة ذهنه من غير تعلم على شيخ وكان ينوب عن الوداني في إلقاء الدروس وقد ختم السلطان كتاب اقليدس في الهندسة بمراكش (الاعلام ج 2 ص 216).

محمد بن محمد التاودي بن سودة المري الفاسي كان عارفا بالتنجيم والحساب والهندسة وله اليد الطولى في الحساب توفي عام 1194 (سلوة الانفاس ج 2 ص 71).

محمد المسناوي مرينو الأندلسي المنجم الحيسوبي له مؤلفات منها «تقدير قرض النفقات» وضعه بعمل الرموز والأرقام مرتبا على أطوار حياة المنفق عليهم ويشارك في علم الفلك وغيره توفي عام 1207 (ج 1 ص 136 ـ الاغتباط).

سليمان الفشتالي الحكيم المتحقق بتعاليم القدماء شيخ سليمان الحوات في الحساب والطب توفي عام 1208 هـ (السلوة ج 3 ص 116).

الأستاذ المعطى مرينو الموقت الشهير له مؤلفات في التوثيق ومنها كتابا سماه (إرشاد الحائر) وآخر في (تعديل الكواكب السبعة) سماه (كنز الأسرار) وآخر في (أبعاد النيرات ورصده وابتكارات أخرى في علم المزاول الرخامية) وغير ذلك توفي عام 1223 (ج 2 ص 116 ـ الاغتباط).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد بن أحمد بنيس أخذ عنه الحساب السلطان مولاي سليمان توفي عام 1213 هـ (السلوة ج 1 ص 204).

أحمد بن الطاهر المراكشي له معرفة بالأحكام النجومية والازياج ويعلم الهندسة والجدول مات عام 1250 هـ (الاعلام ج 2 ص 214).

أحمد حدو الهنتيفي أستاذ في الحساب والرصد والأسماء وكان يحسن نحوا من ثمانية عشر علما توفي عام 1285 هـ (السلوة ج 3 ص 82).

محمد متجنوش أستاذ انفرد في علم الحساب والتنجيم توفي عام 1290 ـ وعمره 31 سنة (ج 1 ص 212).

عبد الرحمن لبريس المنطقي الفلكي الحيسوبي سافر إلى الحج عام 1307 وهو من مواليد القرن الثالث عشر (ج 2 ص 134 ـ الاغتباط).

الطاهر ضاكة كان رياضيا حيسوبيا (2 ص 82 ـ الاغتباط) توفي أواخر القرن الثالث عشر.

محمد بن الرئيس أبي الحسن علي التركي هو الرياضي الكبير الضليع في الهندسة والرياضة وغيرها، ومن أوضاعه في هذا مثال سماه «الشكل الكوري» وهو شكل عجيب شامل لسائر الزوايا والخطوط وأشكال الهندسة مما تشمله أصول أقليدس وتهذيب الطوسي، ولم يعثر على تاريخ حياته. (الاغتباط لأبي جندار ج 2 ص 192).

أحمد بن عبد الله التناني المعروف بالصويرى كان عارفا بالحساب والتنجيم وعلم الأحكام الفلكية وعلم الهيئة له مؤلفات وتعاليق في الحساب والجبر والمقابلة وفن اللوغاريتم وحل أشكالا هندسية ونقلها إلى الأعمال الحسابية وكان رئيس طلبة الحساب والمهندسين في الحضرة الحسنية أخذ عنه الحيسوبي محمد بن شقرون والطاهر الحمري صاحب (الدستور في أوقات المعمور) توفي عام 1320 جعله السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن رئيس المهندسين وعينه مولاي الحسن رئيس قواد الطبجية (أي المدفعية في العامية المغربية) وخليفة وزير الحرب وأخذ عنه الهندسة المهندس محمد بن المكي المسفيوي ومحمد الجرجوري الذي هو من نجباء طلبة الهندسة (الاعلام ج 2 ص 267).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العلوم الإسلامية

لقد أدخل عمر بن الحسن الهوزني صحيح البخاري إلى الأندلس[31] وأدخل أبو بكر بن الأحمر محمد بن معاوية بن مروان المحدث الأندلسي

31) النفح ج 3 ص 385.

(المتوفى عام 365 هـ) النسائي[32] كما أدخل ابن الضابط أبو عمر وعثمان بن أبي بكر الصدفي صاحب الرحلة إلى الشرق كتاب «غريب الحديث» للخطابي[33] على أن صعصعة بن سلام الشامي هو في الحقيقة أول من أدخل الحديث عموما إلى الأندلس والمغرب وقد روى عن الأوزاعي[34] وقد أكب علماء المغرب كما قال ابن خلدون على صحيح مسلم خاصة واجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري من غير الصحيح مما لم يكن على شرطه وأكثر ما وقع له من التراجم وأملى الإمام المازري من فقهاء المالكية عليه شرحا سماه «المعلم بفوائد مسلم» ثم أكمله القاضي عياض من بعده وتممه وسماه «اكمال المعلم» وتلاه محي الدين النووي بشرح استوفى ما في الكتابين وزاد عليهما فجاء وافيا[35] وقد دشن تدريس الحديث بمراكش يعقوب المنصور الموحدي في القرن السادس الهجري[36] ونفق سوقه أيام أبي سالم المريني[37] وعقد المنصور الموحدي مجلسا في حضرته لتدريس الحديث عين له شيخا هو ابن القطان الذي استبحر في علوم الحديث وبصر بطرقه وميز بين سقيمه وصحيحه ونقد رجاله فكان أول شخصية مغربية ركزت الدراسات الحديثية على الأساليب والمناهج المتبعة في الشرق مع نوع من الأصالة والجدة وقد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

32) جذوة المقتبس ص 82 وبغية الملتمس 116.

33) رحلة التجاني ص 80.

34) «تاريخ علماء الأندلس» لابن الفرضي طبع مجريط 1890م ص 169.

35) ابن خلدون في باب علوم الحديث (م 1 ص 801).

36) الاستبصار (الاعلام للمراكشي ج 1 ص 65) وذكر النعيمي المتوفى عام 927 هـ في «الدارس في تاريخ المدارس» (ج 1 ص 14) أنه كان من شروط الوقف في دمشق قراءة البخاري في ثلاثة أشهر.

37) سلوة الأنفاس ج 3 ص 168.

عقد الملوك العلويون مجالس قراءة الصحيح من عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله لقراء الحديث شطرا من السنة.

وحاول الملوك الموحدون الارتكاز على القرآن والحديث فأحرق يعقوب المنصور كتب المذهب المالكي بعد تحريرها من الحديث[38] وكان جده عبد المومن بن علي قد أمر عام 550 هـ بتحريق الفروع ورد الناس إلى قراءة الحديث وأصدر بذلك تعليماته إلى طلبة المغرب وعدوة الأندلس[39].

وقد تتلمذ للإمام مالك مباشرة في علم الحديث يحي بن يحي الليثي الطنجي البربري ومحمد بن سعيد القيسي قاضي المولى إدريس كما تتلمذ الحافظ ابن حجر إمام أهل الحديث شرقا وغربا لمحدثين مغاربة كأبي البركات الكمال المكناسي وتقي الدين الفاسي وابن شقرا محمد ابن بدر الدين السلاوي وكان إدريس العراقي الفاسي أحفظ من ابن حجر.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد حاول ابن حزم في رسالته في فضل الأندلس[40] أن لا يذكر مؤلفا لمشرقي إلا ذكر ما يقابله لأندلسي مفضلا الثاني على الأول وهو فهرس جليل لمعارف الأندلسيين وعلمائهم ومؤلفاتهم وبالرغم عن كون تفسير محمد بن جرير الطبري قد بلغ ألف مجلدة ضخمة[41] فقد قطع ابن حزم بأن

38) المعجب للمراكشي ص 171.
39) الأنيس المطرب ج 2 ص 154.
40) أورد المقري هذه الرسالة في نفح الطيب ج 2 ص 125 ـ 128.
41) لواقح الأنوار القدسية للشعراني ج 2 ص 169 على هامش اللطائف.

بقي بن مخلد «لم يولف في الإسلام مثل تفسيره لا تفسير محمد ابن جرير الطبري ولا غيره» كما قال عن مسنده :

«مسند بقي روى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيف ورتب حديث كل صاحب على أبواب الفقه فهو مسند ومصنف وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله في الحديث»[42] وقد ضرب ابن حزم نفسه المثل الحي بنشاطه في دراسة الحديث وروايته مستوفيا أبواب هذا الفن[43].

والواقع أن كل مسجد أو جامع في المغرب كان دار الحديث حتى صغار القرى بالبادية ففي أغمات كان خلف بن عمر الباجي يدرس صحيح مسلم ويحضر درسه ابن الصيقل الشاطبي المتوفى بفاس بعد 500 هـ وكان علماء المغرب يميلون إلى الحديث في تأويل كثير من التفريعات فقد نقل الحافظ ابن حجر في «الدرر الكامنة» عن «سير النبلاء» للذهبي أن ابن رشيد السبتي كان على مذهب أهل الحديث في الصفات لا يتأولها وقد انتقل علم الحديث من الأندلس إلى حاضرة القيروان «فلما اضطرب أمر إفريقية بعبث العرب فيها وقرطبه آخر ملوك بني أمية رحل من هذه وهذه من كان فيها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

42) المقري ج 1 ص 580.

43) له : (1) «شرح أحاديث الموطأ والكلام على مسائله (الذيل - ياقوت).

(2) «الناسخ والمنسوخ» (الذيل) (يوجد بهذا الاسم منسوبا لابن حزم في مكتبة الكتاني ولعله لابن العربي المعافري).

(3) «الجامع في صحيح الحديث باختصار الأسانيد» (الذيل).

من العلماء والفضلاء من كل طبقة فرارا من الفتنة فنزل أكثرهم مدينة فاس[44].

ونضرب أمثلة نقتصر فيها خاصة على المخضرمين من المغاربة الأندلسيين فمنهم :

- ابن أبي قوة علي بن أحمد بن ابراهيم بن سلمة الأزدي الداني قاضي قصر كتامة المتوفى بمراكش سنة 608 هـ.

كان محدثا مكثرا ثقة ضابطا له رد على ابن غرسية في رسالته الشعوبية (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 149 مخطوط).

- ابن برجان (أو ابن أبي الرجال) أبو الحكم محمد بن عبد الرحمن اللخمي الاشبيلي المتوفى بمراكش بعد 530 هـ.

له «تفسير القرآن» على الأسلوب الصوفي لم يكمله.

(فوات الوفيات ج 1 ص 274 / لسان الميزان ج 4 ص 13 / تاريخ بروكلمان ج 1 ص 559 وملحقه ج 1 ص 775).

(يوجد مجلد ضخم من تفسيره أوله سورة الاعراف في مكتبة السيد عبد الحي الكتاني الملحقة بالمكتبة الوطنية بالرباط).

---

44) شجرة النور ص 450، وقد كان في سبتة محدثون حيث أجاز الحافظ تقي الدين بن تيمية صاحب سبتة بجملة من أسانيده في عشر ورقات وصدر عنه ذلك وهو معتقل في سجن الاسكندرية عام 709 هـ (فهرس الفهارس ج 1 ص 199).

- ابن بشكوال المتوفى في عام 578 هـ (تاريخ بروكلمان ج 1 ص 340).

له «الغوامض والمبهمات من الأسماء» (يعرف بغوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة) (كشف الظنون ج 2 ص 1213) يوجد في مكتبة ولي الدين 812 (1) (ف 744).

- عبد الواحد بن محمد بن بقي... أبو عمر الجذامي المالقي المتوفى بمراكش عام 637 هـ وهو مقرىء مجود محدث ماهر في علم العربية.

- ابن حركالش سالم بن ابراهيم بن عبد الرحمن الصدفي السرقسطي استوطن مدينة فاس محدث رحل إلى المشرق وتوفي بمصر. (الذيل والتكملة س 4 ص 2).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ابن حنين علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني القرطبي درس بفاس ستا وستين سنة من عام 503 هـ إلى 569 هـ حيث توفي وتتلمذ قبل ذلك للغزالي (سلوة الأنفاس ج 1 ص 349) دخل مصر والحجاز والشام وسمع من الغزالي أكثر من الموطأ برواية ابن بكير (الذيل والتكملة ق 5 ص 151).

- ابن الخطيب السلماني (المتوفى في سنة 776 هـ) له «درة التنزيل وغرة التأويل» (تاريخ بروكلمان ج 2 ص 337 وملحقه ج 2 ص 372 / الدرر الكامنة ج 3 ص 465 / ابن خلدون ج 7 ص 341).

- ابن سنجون اللواتي الطنجي مروان بن عبد الملك الذي أقام في الشرق سبع عشرة سنة يقرر الحديث والذي كان يقول : «لم أدخل إلى الشرق حتى حفظت أربعة وثلاثين ألف بيت من أشعار العرب» وهو من كبار فصحاء طنجة (معجم البلدان ج 6 ص 62).

- ابن شقرا شمس الدين محمد بن بدر الدين محمد بن يحي بن عثمان بن رسلان البعلي السلاوي أخذ عنه ابن حجر توفي عام 779 هـ (الشذرات ج 6 ص 264).

- ابن عربي[45] محي الدين محمد بن عبد الله الحاتمي (668 هـ).
(النفح ج 1 ص 567 / عنوان الدراية ص 97 / بروكلمان ج 1 ص 793.

ARCHIVE

له : 1) «إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن» يوجد بدار الكتب المصرية (324 تفسير) وطبع ببيروت تفسير صغير على طريق الإشارة في مجلدين ينسب إليه وقد وصل في التفسير الكبير إلى قول الله تعالى : ﴿**وعلمناه من لدنا علما**﴾.
2) الأحاديث القدسية.

- ابن عياش عبد الملك اليابري كاتب عبد المومن الموحدي من أهل الحديث والرواية (القرطاس ـ المعجب ـ الذيل والتكملة).

---

45) كان الحاتمي يعرف في المغرب بابن العربي بالألف واللام فاصطلح أهل المشرق على ذكره بغير ألف ولام فرقا بينه وبين القاضي أبي بكر ابن العربي (نفح الطيب ج 1 ص 410).

- ابن الفرس عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن فرج بن خلف الخزرجي المتوفى سنة 597 هـ تلا حرف نافع والسبع وتفقه في الحديث وناوله أبو الحسن بن النعمة تفسيره وأجازه ابن طاهر المحدث وابن العربي وعياض والمازري وعلي بن الحسن الطبري وابن القطان وابن قطرال واشترك بالرواية في السماع مع أعلام بقايا المائة السادسة كان يحضر مجالس المنصور الموحدي له مصنف «في أحكام القرآن» وهو أجل ما ألف في بابه (فرغ منه في المرية 553 هـ).

- ابن قطران علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري الفاسي القرطبي، عرض عن ظهر قلب صحيح البخاري حضر مجلس المحدث ابن القطان في مراكش واستقضي بشريش وجيان وقرطبة وسبتة وأغمات وريكة ثم تولى قضاء النساء بمراكش، ولد بفاس عام 562 هـ وتوفى بمراكش عام 651 هـ.

- ابن صاف أبو بكر محمد بن خلف اللخمي.
له «الأجوبة على مسائل أعلام طنجة في القرآن والنحو».
(بغية الوعاة ص 40).

- ابن العربي المعافري أبو بكر محمد بن عبد الله ولد باشبيلية عام 468 هـ وتوفى بفاس عام 543 هـ (ابن خلكان ج 2 ص 292 / النفح ج 1 ص 477 / بستان المحبين ص 123 / تذكرة الحفاظ ج 4 ص 86 / بروكلمان ج 1 ص 632).

له : 1) «قانون التأْويل» في التفسير (مكتبة القاهرة 188 ر1).

2) «أنوار الفجر» وهو تفسير في ثمانين سفرا كل واحد في ألف ورقة ألفه في عشرين سنة ذكر في «الديباج» عن بعض الثقاة أنه رآه بخزانة أبي عنان المريني بمراكش 80 مجلدا لم ينقص منها شيء (سلوة الأَنفاس ج 3 ص 200).

3) «أحكام القرآن» (المكتبة الملكية بالرباط ـ 7349 ـ مكتبة السيد عبد الحي الكتاني ـ مكتبة برلين 801 ـ مكتبة المتحف البريطاني 142 ـ مكتبة القاهرة 1,121.

4) «الناسخ والمنسوخ» في القرآن «مخطوط نادر وهو جزء متوسط مبتور بخزانة القرويين (ل 80 / 72) ويوجد في مكتبة الكتاني كتاب يحمل نفس الإسم لابن حزم).

5) كتاب «القبس في شرح موطأ مالك بن أنس» (مكتبة القرويين ج 25) ومكتبة الكلاوي وقد ألحقتا بالمكتبة العامة بالرباط.

6) «المسالك في شرح موطأ مالك» وهو شرح ثان للموطأ.

7) «عريضة الأحوذي في شرح الترمذي».

8) شرح حديث أم زرع.

ـ ابن الفخار أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد المراكشي (وقيل الاركشي كما في الديباج) المالقي الشريشي المتوفى عام 723 هـ.
الديباج ص 303 / الاعلام للمراكشي ج 3 ص 258.

1) «تحبير نظم الجمان في تفسير أم القرآن».

2) «انتفاع الطلبة النبهاء في اجتماع السبعة القراء».

3) «الأَحاديث الأَربعون فيما ينتفع به القارئون والسامعون».

4) «إرشاد السالك في بيان إسناد زياد عن مالك».
(أشار المراكشي ص 259 إلى الباقي من هذه الكتب).

- ابن الملجوم عيسى بن يوسف بن عيسى بن علي الأزدي الفاسي قاضي فاس ومكناسة (476 هـ / 543 هـ) محدث حافظ راوية.
الجذوة والاعلام للمراكشي (ج 7 ص 295 خ).

- أبو بكر بن أسود الغساني محمد بن إبراهيم بن أحمد قاضي مرسية المتوفى بمراكش عام 536 هـ. له «تفسير القرآن» راجع بغية الملتمس ص 46 / الصلة لابن بشكوال 526 / النفح ج 1 ص 352.
وهو غير ابن الأسود الغساني محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن عمر المتوفى عام 788 هـ كما في الجذوة.

- أبو بكر بن بقي يحيى بن محمد بن عبد الرحمن السلوي (563 هـ).
أخذ القراءات والحديث والأدب عن مشيخة بلده وسكن مرسية عالم بالتفسير (الذيل والتكملة ـ الاعلام للمراكشي ج 8 ص 239 خ).

- أحمد بن محمد المقري خطيب جامع القرويين وصاحب «نفح الطيب» تولى تدريس الحديث في دمشق ومصر توفي 1041 هـ (شجرة النور ص 300).

- خلف بن عمر الباجي كان يدرس صحيح الإمام مسلم في أغمات ويحضر درسه ابن الصيقل الشاطبي المتوفى بفاس سنة 500 هـ (التكملة والاعلام للمراكشي ج 7 ص 105 ـ مخطوط).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- أبو القاسم (أو أبو زيد) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي[46] الخثعمي المتوفى بمراكش سنة (581 هـ).

له : 1) «كتاب التعريف والاعلام لما أبهم من القرآن من أسماء الاعلام» (المكتبة العامة بالرباط 1202 = د / المكتبة الملكية بالرباط ست نسخ 1605 - 6245 إلخ / الخزانة السودية بفاس / وفي نسختين أيضا (6245 - 4664) يحمل الكتاب اسم «تنبيه الأنام» وعليه تعليقان هما :

- «التكميل والإتمام لكتاب التعريف والاعلام» لتلميذ السهيلي محمد بن علي بن خضر بن هارون بن عسكر الغساني المتوفى عام 636 هـ توجد نسخة منه بدار الكتب المصرية (762 = تفسير).
- «الاستدراك والإتمام للتعريف والإعلام» نسبه صاحب جذوة الاقتباس (ص 57) لأبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد بن فرتون السلمي المتوفى 1060 هـ (1661م).

2) «تفسير سورة يوسف» (المكتبة العامة 1427 = د) (و 691).

3) «الإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين».

4) الروض الأنف والمشروع الروي في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى «الجزء الأول (بمكتبة المدينة 449 / مكتبة الآصفية بحيدر آباد بالهند 538 (سير).

- عبد الرحيم بن ابراهيم بن محمد بن الفرس الخزرجي الغرناطي الحافظ لأسانيد الحديث (قيل يلقب بالمهدي) لأنه دعا لنفسه

46) نسبة إلى السهيل وهي قرية بالقرب من مالقة بالأندلس (شذرات الذهب ج 4 ص 272).

ولقب بالخليفة وقتل بناحية مراكش عام 600 هـ على يد جيوش الناصر الموحدي (نيل الابتهاج / الاعلام للمراكشي ج 6 ص 69 مخطوط).

- عبد الرحيم بن أحمد بن علي بن طلحة ابن عليم السبتي الشاطبي (المتوفى عام 655 هـ) كتب الحديث بمصر ودمشق (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 71 مخطوط).

- عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الأموي المعروف بالأصيلي المتوفى سنة 392 هـ. من كبار أصحاب الحديث والفقه (هو من أهل أصيلا حسب ابن الفرضي في تاريخ علماء الأندلس طبعة مجريط 1890 ص 208) دخل القيروان ثم رحل منها مع دراس بن اسماعيل الفاسي إلى مصر (جذوة المقتبس للحميدي طبعة 1952 ص 239). له شرح على الموطأ سماه (الدليل) أشار فيه إلى الخلاف بين الإمامين الشافعي وأبي حنيفة، قال الدارقطني لم أر مثله (الشذرات ج 3 ص 140).

- عبد الله ابن اسماعيل الإشبيلي قاضي أغمات ومراكش كان يميل في فقهه إلى النظر اتباع الحديث توفي عام 497 هـ) وقد طبق هذه الطريقة في كتابه «شرح المدونة» و «شرح مختصر ابن أبي زيد» (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 83 مخطوط).

- عبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله الأنصاري المحدث الحافظ قاضي قرطبة وإشبيلية ومرسية وسبتة ومؤدب أبناء المنصور الموحدي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لـه «كتـاب في تسميـة شيـوخ البخـاري ومسلم وأبي داود والنسـائي والترمـذي» نـزع فيـه منزع أبي نصر الكـلا بـاذي لم يكملـه، تـوفي بغرنـاطـة 612 هـ (ودفن بمـالقـة) (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 93 مخطوط).

- عبد الله بن محمد بن علي... بن ذي النون الحجري المتوفى 591 هـ، قاضي سبتة خاتمة المسندين (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 87).

- عبـد المنعم بن يحي بن خلف بن النفيس الحميري الغرنـاطي سكن الجـزيرة الخضراء ثم مراكش تـوفي بعـد 584 هـ. كان عـارفـاً بالقراءات السبع له حظ صالح من روايـة الحـديث أكتب القرآن بمراكش مدة (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 134 خ).

- علي بن أحمـد بن الحسن الحرالي التجيبي (من حرالـة من أعمـال مرسيـة) ولـد ونشـأ بمراكش وتـوفي في حمـاة سنـة 638 هـ (وقيـل 637 هـ).

(عنوان الدراية ص 85 / النفح ج 1 ص 417 / تكملـة ابن الأبـار ص 687 / ميزان الاعتـدال ج 2 ص 218 / لسـان الميزان ج 4 ص 204 / تـاريـخ بروكلمـان ج 1 ص 527 وملحقـه ج 1 ص 735 / نيل الابتهـاج ص 187 / طبقـات المفسرين للسيوطي ص 22).

له : «مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل» يوجد منه إلى قولـه تعالى : ﴿**كلما دخل عليها زكرياء المحراب**﴾ الآية، وقـد أقرأ الفاتحة في ستة أشهر حسب الغبريني.

(تفسير جعله كقوانين أُصول الفقه حسب الحافظ ابن حجر ملأه بنتائج فكره وكان فلسفي التصوف حمل عليه ابن تيمية قائلا : «ان تصوفه على طريق الفلاسفة».

وله تقدم في الحديث وعلو سند (الاعلام للمراكشي ج 7 ص 19 خ).

- علي بن محمد بن حسن الأنصاري الإشبيلي الجياني نزيل مراكش المتوفى سنة 663 هـ كان شرع في الجمع بين تفسيري الزمخشري وابن عطية فلخص منه ابن أبي الحباب وأبوي القاسم خلف بن سليمان ابن عمرون وأحمد بن أبان بن سيد وأبي محمد بن ابراهيم الأصيلي وأبي يحيى زكرياء بن الأشج كان كاتب الرشيد الموحدي تولى خطة الإشراف على بلاد حاحة فتوفي بتامطريت (الاعلام للمراكشي ج 476 مخطوط).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- علي بن محمد الغرناطي المفسر المتوفى بمراكش 577 هـ.

صحب أبا بكر بن العربي المعافري فرآه مقتصرا على علم التفسير فقال : «ان هذا سيكون له شأن» وقد فسر القرآن للناس من أوله إلى آخره (الاعلام للمراكشي ج 7 ص 10 خ).

- علي بن محمد بن منصور بن شراجة الغافقي نزيل مراكش. كان مقرئاً مجودا محدثا (الإعلام للمراكشي ج 6 ص 59 خ).

- علي بن محمد بن يوسف بن عبد الله الفهري اليابري سكن مدينة سلا وتوفي بمراكش سنة 617 هـ أو 618 هـ.

كان يربي أولاد المنصور الموحدي عارفا بالقراءات السبع، ويؤثر

القراءة بحرف عاصم في صلاة التراويح مع المنصور (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 146 ـ مخطوط).

- علي بن مسعود الشاطبي أو الشطيبي قاضي الجماعة بمراكش (1002 هـ).

كان يدرس صحيح البخاري أمام المنصور السعدي وكان يحفظه من كثرة تكراره (راجع الصفوة والنشر والمطمح) وقد سماه عصريه ابن القاضي في «المنتقى المقصور» و «ودرة الحجال» أبا القاسم بن علي بن قاسم بن مسعود الشاطبي (الاعلام للمراكشي ج 7 ص 73 خ).

- عمر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر السلمي الأغماتي الفاسي المتوفى سنة 603 هـ.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان راوية مسندا من رؤساء النحاة صديقا لابن خروف النحوي استقضي بفاس وهو ابن عشرين سنة ثم تلمسان وأغمات وريكة واشبيلية (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 109 ـ مخطوط).

- عياض أبو الفضل بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى السبتي اليحصبي المتوفى سنة 544 هـ (المقري ج 1 ص 338 / قلائد العقيان ص 255 / السلوة ج 1 ص 151 / الديباج ص 177 / الجذوة ص 277 / تذكرة الحفاظ ج 4 ص 96 / ابن بشكوال ص 242 / بستان المحبين ص129 / اتحاف النبلاء ص 329 / أزهار الرياض في أخبار عياض / بروكلمان ج 1 ص 369).

ورد في الوفيات أنه كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب.

له : 1) «الشفا في التعريف بحقوق المصطفى» للسيوطي «مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا» (المكتبة الملكية 5276).

لعبد العزيز الزبيدي كتاب «تخريج أحاديث الشفا» (مكتبة المدينة).

2) «مشارق الأنوار على صحيح الآثار» (نشر بفاس عام 1382 هـ) ثلاثة مجلدات (أزيد من سبعمائة صحيفة) نسختان (بالمكتبة العامة 1972.181) وأربع نسخ في (المكتبة الملكية 4037 إلى 8198) وهي في تفسير (غريب الحديث المختصر بالموطأ والبخاري ومسلم) طبع على الحروف في جزئين بفاس عام 1328 هـ.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

3) «اكمال المعلم شرح صحيح مسلم» (يوجد في المكتبة العامة 2073 = د).

«المعلم لفوائد كتاب مسلم» لمحمد بن علي المازني ومعه الإكمال لعياض «واكمال الاكمال» لمحمد بن خليفة الأبي[47] (ومكمل اكمال الاكمال) لمحمد بن يوسف السنوسي (جزء أول فيه 549 ص) (والجزء الثاني فيه 457 ص).

وتوجد نسختان في المكتبة العامة 2275 (658 ص).

---

47) ورد في الاعلام للمراكشي أن محمدا بن ابراهيم بن محمد الليثي البقوري الأندلسي المتوفى بمراكش عام 707 هـ له أيضا «اكال الاكال» للقاضي عياض (الاعلام ج 3 ص 243).

4) فهرسة اسمها «الالماع إلى معرفة الرواية وتقييد السماع» (الأسكوريال 1572 وهي غير فهرسته المسماة :

5) «الغنية في اصطلاح أخذ الحديث وسماعه من الأشياخ (مكتبة مدريد 307).

6) «بغية الرائد في معرفة ما في حديث أم زرع من الفوائد».

7) «مناهج العوارف إلى روح المعارف» (في شرح مشكل الحديث) (مكتبة القاهرة 153 ر I).

- محمد بن ابراهيم بن محمد الليثي الأندلسي المتوفى بمراكش سنة 707 هـ.

له : 1) - «اكال الاكال» للقاضي عياض (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 243) (النفح ج 1 ص 353).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- محمد بن أحمد بن جراح الجياني البغدادي المتوفى بفاس سنة 546 هـ (السلوة ج 3 ص 267).

روى عن علي الطبري وجلب من تواليفه إلى المغرب «أحكام القرآن» والرد على أحمد بن حنبل.

- محمد بن سعيد بن أحمد بن زرقون الشريشي المتوفى باشبيلية عام 586 هـ مسند الأندلس ولي قضاء شلب وسبتة (فهرسة ابن خير ص 86 / تكملة ابن الأبار ص 256).

له : 1) «الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار».

في شرح الموطأ للباجي وابن عبد البر (يوجد المجلد الرابع بخزانة جامعة القرويين 145) ولمحمد بن عبد الحق بن سليمان الكومي

المتوفى عام 625 «المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار» في عشرين سفرا و 3000 ورقة) (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 98).

2) كتاب في الجمع بين الترمذي وأبي داود (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 98).

- محمد بن عبد الملك القيسي المنتوري المتوفى سنة 834 هـ.
- «شرح الدرر اللوامع» لابن بري (جزء متوسط حبسه المنصور السعدي على مكتبة القرويين عام 1011 هـ وعليه خطه) (ل 40 / 231).
- محمد بن علي بن العابد الأنصاري الشاعر أصله من فاس سكن غرناطة ومات بها سنة 762 هـ (الإحاطة ج 2 ص 211).

اختصر تفسير الزمخشري (أزال عنه الاعتزال).

وقد ألف عمر بن محمد خليل السكوني الإشبيلي نزيل تونس المتوفى عام 717 هـ «التميز لما أودعه الزمخشري من الاعتزالات في تفسير الكتاب العزيز» (النيل ص 195 / كشف الظنون ج 2 ص 1482 / النفح ج 2 ص 1150) (المكتبة الملكية 8780) (ومكتبة القرويين).

- محمد بن عمر الشواشي الشلبي المقرىء المتوفى بمراكش عام 569 هـ وهو صاحب ثورة المريدين (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 24).
- محمد بن قاسم بن محمد بن علي القيسي القصار الأندلسي الفاسي محدث المغرب (1012 هـ) أستاذ سيدي عبد الرحمن الفاسي (مرآة المحاسن ص 148 / النزهة ص 192 / الصفوة ص 16 / النشر ج 1

ص 62 / السلـوة ج 2 ص 62 / خـلاصـــة الأثر للمحبي ج 4 ص 121).

له : فهرست جمع فيها روايتـه في الفقـه والحـديث (فهرس الفهـارس ج 2 ص 317) وأخرى أصغر منها توجد بالمكتبة الأحمدية السودية بفاس) (الاعلام للمراكشي ج 4 ص 227).
وقد نفق سوق الحديث في عصره وكان المغرب يعتني خـاصـة بـالنحو والفقه والقرآن.

- يحي بن يحي بن أبي عيسى الليثي الطنجي كثير بن وسـلاس المصمودي عـالم المغرب والأنـدلس في عصره سمع الموطـأ من مـالـك وسفيـان بن عيينـة ونشر مـذهبـه في الأنـدلس حيث كان لا يولى قاض إلا بمشورته توفي عام 234 هـ (ولد عام 152).
وصفه مالك بعاقل الأندلس.
(التهـذيب ج 11 ص 300 / النفـح ج 1 ص 332 / ابن خلكان ج 2 ص 216 / جذوة المقتبس ط 1952 ص 359 / المغرب ج 1 ص 163 / ابن الفرضي ص 44 / الديباج ص 350).

- اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله الغـافقي الجيـاني (توفي بمصر 579 هـ) المحدث الحافظ المقرىء خرج من مراكش عام 543 هـ.
روى صحيحي البخـــاري ومسلم والسنن عن علمـــاء في المشرق والمغرب (الاعلام للمراكشي ج 8 ص 329 خ).

- يعيش بن علي بن مسعود بن القـديم الأنصـاري أبـو البقـاء المتـوفى سنة 626 هـ رحل من شلب إلى مراكش ثم فاس.

له : «الشمس المنيرة في القراءات السبع الشهيرة».
(جذوة الاقتباس ص 355) وهو أُستاذ ابن القطان في الحديث (الاعلام للمراكشي ج 8 ص 327 خ).

الفن المعماري

اتجه المرابطون خاصة نحو هندسة المساجد التي لم يعد يخلو منها ربض ولا زقاق لا سيما في فاس كما اهتموا ببناء القلاع على غرار الحصون الأصلية مع الاقتباس في آن واحد من الأندلس. وأول ما تجلى هذا الاقتباس في فاس حيث استقدم يوسف بن تاشفين من قرطبة جملة من صناع طوروا مساجد المدينة وسقاياتها وحماماتها وخاناتها كما استقدم علي بن يوسف المهندسين الأندلسيين لبناء قنطرة (تانسيفت).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم جاء الموحدون فاستطاعوا بفضل ما أبدعوه من روائع تبوؤ المقام السامي في تاريخ الفن الإسلامي لا سيما في عهد يوسف الذي عاش في اشبيلية حيث زينها بأروع البنايات والمؤسسات العمومية ثم جاء ولده يعقوب المنصور فكان أبدع بناء في تاريخ المغرب الفني وقد تجلت هذه البدائع خاصة في اشبيلية والرباط ومراكش ومناراتها (خيرالدا وحسان والكتبية) وأصبحت مراكش ببناياتها وقصورها وحدائقها أشبه ببغداد في الشرق كما اشبهت مدينة فاس دمشق في روائها الفني وطبيعتها الخلابة.

ويمكن أن تعتبر مدينة فاس أول مركز عربي تفتق في البلاد المغربية وأصبح بعد ذلك ـ حسب كوتيي Gautier ـ مظهر إعجاز في ميدان التكيف بالطابع الشرقي ذلك أن الفن اتخذ مناهج جديدة منذ العصر

الأموي في كل من الشرق الأدنى والمغرب العربي بفضل مرونة حساسية العرب ومداركهم الإبداعية. فهناك عوامل حدت العرب في الأندلس والمغرب وكذلك بمصر إلى الاستيحاء في زخارفهم من معطيات الهندسة وهذه العوامل هي إهمالهم للأشكال والصور المستمدة من الطبيعة وتعمقهم في دراسة الرياضيات وسعة مواهبهم وأذواقهم.

وكان لفاس أثرها القوي حتى في إفريقيا وبذلك أمسى علماء الإسلام بإفريقيا تابعين لمدرسة برابرة الغرب الإسلامي[48] ويرجع فضل هذه النهضة إلى المولى إدريس الثاني الذي أمد حاضرة العلم بأولى مؤسساتها.

وقد أكد المؤرخ الفرنسي طيراس[49] لدى حديثه عن الفن المرابطي أن عليا بن تاشفين فاق والده بكثير في المؤسسات المعمارية مع أن يوسف نفسه كان من كبار البناة والمؤسسين وقد اندثرت معالم جميع ما أقامه من قصور ومساجد في مراكش باستثناء قبة البردعيين (قرب جامع بن يوسف) ومسجد تلمسان (عدا منارته) ومعظم أروقة جامعة القرويين الزاخر بروائع الفن المقتبس طبق الأصل من الفن الأندلسي بما كان ينطوي عليه في القرن الخامس الهجري من رقة ورشاقة وروعة زخرف ومع ذلك فإن إسهام المرابطين في الفن كان مهما لا يخلو من تجديد فالفنان لا يمكن أن يستسيغ ويقتبس إلا ما تمكن تقريبا من الكشف عنه[50] ولنا على ذلك دليل قوي

48) (الفن الإسلامي) ـ جورج مارسي ج 2 ص 469.
49) تاريخ المغرب ـ ص 252.
50) مقدمة كتاب الفن الإسلامي لمارسي.

في النفوذ الشامخ الذي بسطه المرابطون في الأندلس وإفريقية وذلك في العمل البناء الذي حققوه في هذا الجزء من المغرب الإسلامي وقد لاحظ (كودار)[51] عن حق أن إقامة المرابطين لصروح أكبر امبراطورية أسست في العالم (حيث امتدت من الأندلس إلى (جزر الباليار) إلى (نهر النيل) (Niger) لتنم لدى الفاتح المرابطي عن تفتح مدارك قوية.

إن قادة الموحدين الذين ركزوا للمرة الأولى وحدة الإسلام السياسية من حدود (قشتالة) إلى (ليبيا) قد ساهموا في تأصيل نوع من التوحيد بين عناصر الفن الإسلامي في المغرب[52].

وقد استمر نفوذ الموحدين أزيد من قرن، كان لهم في غضونه أعمق الأثر في عدوة الأندلس المترامية الأطراف، فانتصار يعقوب المنصور في الأندلس قد أضفى على الفن طابعا خاصا وحقق بتساوق مع مدرسة القيروان التجانس الفني بين الشرق والغرب.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد تجلى ذلك في جامع القرويين فعندما دعت زناتة لعبد الرحمن الناصر ملك الأندلس وبايعه أهل فاس قام العامل (أحمد ابن أبي بكر الزناتي) بتوسيع المسجد منفقا عليه «من أخماس غنائم الروم» فزاد أربعة بلاطات من الغرب وخمسة من الشرق وثلاثة من الجوف.

وفي عهد علي بن يوسف اشتريت دور كان أكثرها في ملك اليهود وزيدت في المسجد عشرة بلاطات من الصحن إلى القبلة[53] والقبة بأعلى

---

51) في كتابه (وصف وتاريخ المغرب) ص 314.

52) مارسي (الفن الإسلامي ص 305).

53) يوجد بجامع القرويين 19 بلاطا موازيا للقبلة وقد لاحظ (جورج مارسي) ان هذا الأسلوب يرجع عهده إلى صدر الإسلام ونجده في مصر (جامع عمرو وجامع ابن طولون) وظل هو الغالب في مساجد فاس (فن الإسلام ص 95).

المحراب «بالجص المقربص الفاخر الصنعة» ورقش ذلك كله بورقة الذهب واللازورد وأصناف الأصبغة[54] وركب في الشماسات التي بجوانب القبلة أشكال متقنة من أنواع الزجاج وألوانه، ثم غشيت أبواب الجامع» بصفائح النحاس الأصفر بالعمل المحكم والشكل المتقن، (كل ذلك عام 533 هـ) وقد لاحظ (ابن أبي زرع) أن هذا الفن كان يبهت الناظرين، فلما دخل (عبد الرحمن بن علي) عام 540 هـ) خاف الفقهاء والأشياخ أن ينتقد ذلك النقش والزخرف لأن الموحدين نهجوا سياسة التقشف فغطى البناؤون النقش والتذهيب الذي فوق المحراب وحوله بالكاغد ثم لبسوا عليه بالجص وغسل عليه بالبياض[55].

وقد علق(جورج مارسي) على هذا الحدث فزعم أنه قصة لتبرير البياض والفراغ الملحوظين في قبة المحراب[56] إلا أن الحفريات التي قامت بها (مصلحة الفنون الجميلة) منذ عام 1952 أكدت حكاية المؤرخ العربي، فقد كشف عن نقوش رائعة غير أنها لاتحتوي على أي توريق ذهبي، وقد لوحظ أن أصناف الأصبغة المشار إليها من طرف صاحب (القرطاس) هي الأزرق والأحمر والمغرة الصفراء، وما زالت الألوان متماسكة وفي رائق غضاضتها، ويظهر أن مزيج الأصباغ كان يحتوي على مح البيض الذهبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

54) (الأنيس المطرب ج 1 ص 87).

55) (الأنيس ج 1 ص 88).

56) كتاب الفن الإسلامي طبعة 1926 ج ص 302 وقد أكد (مارسي) هذا الزعم في الكتاب الذي صنفه عام 1954 وهو «الهندسة المعمارية الإسلامية في الغرب» (ص 188) إلا أن الأستاذ (طيراس) أيد مقالة ابن أبي زرع.

اللون وأن الدهان كان كامدا للتخفيف من بريق أشعة النور المنعكس من النوافذ.

وقد احتل الموحدون في تاريخ الفن الإسلامي مكانة مرموقة تفوق ماكان للمرابطين في هذا الحقل، وذلك بالرغم عن معارضة المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية لبعض مظاهر هذا الفن كالموسيقى والسماع والزخارف والنقوش.

وكان ابن يوسف هذا يقطن في (اشبيلية) التي زخرف معمارها بأبهى وأروع مما زين به حاضرة مراكش، أما ولده (يعقوب المنصور) فإن بدائعه الفنية تشهد بأنه أروع بناء في العصر الموحدي[57] مثال ذلك المؤسسات المقامة في اشبيلية والرباط ومراكش.

وبفضل الموحدين تجلى القرن السادس لبعض علماء الآثار كعصر بلغ فيه الفن الأوج في القسم الغربي من العالم الإسلامي[58].

وتبدو الهندسة المعمارية الموحدية في أجلى وأجل معالمها في مساجد مراكش وحسان (بالرباط) ومرصد الخالدة باشبيلية[59].

وقد أكد كل من (طيراس) و (باسي) أن (الكتبية) أجمل معبد أقامته الخلافة الإسلامية في المغرب، وأنه يعادل في جدة أسلوبه روائع (الجامع

---

57) مارسي ـ الفن الإسلامي ج 1 ص 303.

58) الهندسة المعمارية الإسلامية في الغرب ص 200.

59) يوسف هو الذي شرع عام 567 هـ في بناء المسجد الأعظم باشبيلية (القرطاس) لابن أبي زرع).

الكبير بقرطبة)، فجامع قرطبة رغم سعته لايتسم بنفس الطابع من التجانس والتناسق ومع ذلك فإن عددا كبيرا من رؤوس الأساطين في (الكتبية) هو من أصل أندلسي، فالأعمدة الأربعة التي تساند (قوس المحراب) من مخلفات (الفن الأموي) (وتوجد أيضا في المسجد الموحدي بقصبة مراكش أعمدة أموية من الصعب وجودها ملتئمة في قرطبة نفسها).

ويرى كل من (طيراس وباسي) أن هذا المنبر هو أجمل منبر في الغرب الإسلامي بل أبهى وأروع منبر في العالم الإسلامي أجمع وما زال قائم الذات إلى عصرنا هذا في (الكتبية) إلا أن بعض أجزائه تميل إلى التداعي.

وقد ازدهرت مظاهر الحضارة والعمران في عهد بني مرين الذين أصبحوا أقوى ملوك إفريقيا الشمالية[60] إذ بالرغم عن محتدهم الصحراوي فإن هؤلاء الرجال استطاعوا بفضل اتصالهم المزدوج بـ (بني نصر) ورثة الحضارة الأندلسية وبالموحدين التكيف والانسياق في مجرى الحضارة تبعا للمقتضيات المدنية مع استمداد من معطيات الفكر الإسلامي والمجالي الطريفة في التجديد، وقد تبلور اتجاههم في إقامة المدارس المحصنة والمساجد وقباب الأضرحة والفنادق المزخرفة والمدارس الفخمة التي أضفت على المغرب المريني طابعا خاصا من الروعة والبهاء.

تلك هي المظاهر الجوهرية التي يمكن أن نستخلص منها صورة عن الفن المريني الذي بدأت تتبلور فيه مجالي الازدواج بين الطابعين الأندلسي والمغربي في شكل جديد سمي بالفن الإسباني الموريسكي.

---

60) راجع تاريخ إفريقيا الشمالية لأندري جوليان.

وبالرغم عن التأثيرات الأندلسية التي وسمت هذا الفن فإنه اصطبغ بسمة خاصة إذ عوضا عما كان يذكي المهندس الأندلسي من رغبة في تحقيق التوازن بين القوى في المعالم المعمارية هدف المهندس المغربي إلى ضمان متانة الهيكل بالإضافة إلى ما كان يشعر به من حاجة إلى مزيد من الزخرفة والتنسيق وهذا هو الطابع العام الذي يتسم به مجموع الفن الإسلامي من تسطيرات ناتئة ومقربصات وتلوينات علاوة على روعة الهندام ورغما عما يتسم به هذا الفن المعماري الذي بلغ في العصر المريني أوج عنفوانه من إيغال في التوريق والتسطير والنقش مع قلة توازن بين الأجزاء وعدم جودة المواد فإن المجموع ظل - كما يصفه المؤرخ أندري جوليان - واضح المعالم متوازي النسب تتجانس نقوشه تجانسا رائعا ضمن الحيز الذي يملأه وهذا بالإضافة إلى ما انطوت عليه الألوان من دقة وجناس كاملين[61] وقد أشع الفن المريني شرقا وغربا بثروته التي لا تضاهى وروعته الطريفة الأصيلة فكان فنا أندلسيا مغربيا تتناسق عناصره في (العدوتين).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذا التناسق الفني يرجع الفضل فيه إلى نشاط المهندس الأندلسي الذي كان تأثيره ملحوظا في مجموع المآثر المعمارية[62].

وإذا كان الفن قد استطاع الصمود في نهاية العهد المريني فما ذلك إلا بفضل العناصر الأندلسية التي هاجرت إلى المغرب، بحيث أصبح المغاربة منذ

---

61) تاريخ إفريقيا الشمالية (ص 456).

62) كان ذلك منذ المرابطين وقد لاحظ (الناصري) نقلا عن صاحب (الجذوة) أن المهندس الإشبيلي محمد بن علي هو الذي رسم تصميم (دار الصناعة البحرية بسلا) واستعمل الأساليب المعروفة بالأندلس (الاستقصا ج 2 ص 11) كما أن نقل مياه (وادي فاس) لتزويد قصر يوسف بن يعقوب كان على يد مهندس اشبيلي اختصاصي في علم الحيل هو (محمد بن الحاج).

عهد الوطاسيين عالة في كثير من الفنون والحرف على الأندلس[63] ومع ذلك فإن الفن المغربي الذي نشطت مقوماته العمرانية ظل محتفظا بجودته النادرة رغما عن انعدام الفخامة في مجاليه، ذلك أن وفرة الزخرفة وثراءها وروعتها انتظمت في إطار من الوضوح والدقة لاغبار عليه.

وقد لاحظ طيراس[64] أنه بالرغم عن الجهود التي بذلها كبار الأُمراء السعديين فإنهم لم يسهموا في انبعاث الحضارة الإسلامية بالمغرب، غير أن صلات عابرة وغير مباشرة بالفنون الإسلامية الشرقية تحققت من جديد بفضل ما كان للسعديين من علاقة بالأتراك ولعل بعض هذه الآثار تتجلى في فن الطرز والنسيج والتجليد والتذهيب.

وعندما استتب الأمر للعلويين في عهد (مولاي الرشيد) بدأ هذا الأمير يهتم بتجديد معالم الفن المريني والسعدي بتعزيز الأجهزة العسكرية ومتابعة بناء المعاهد والمدارس والمساجد.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكانت الزخرفة بسيطة فالسواري مجردة من التيجان كما أن الأقواس عارية من كل نقش ولا يوجد الخشب المنحوت إلا في الباب الشارع من جدار القبلة.

وقد قامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ بأمر من جلالة الحسن الثاني أيده الله ـ بتجديد هيكل جامع السنة فنقلت عام (1969م) منارته من الطرف الشمالي إلى الطرف الجنوبي للمسجد، وكان ذلك عنوانا

---

63) كودار ج 2 ص 461.

64) تاريخ المغرب (ج 2 ص 234).

ناصعا على امتداد روعة الفن المغربي الأندلسي بطابعه الخاص الذي اندرست معالمه في الوطن العربي كما تجددت سقوف الصحون والبلاطات وازدانت مختلف الأروقة بنقوش خلابة وبرزت براعة الصانع المغربي في النحت على النحاس الأصفر اللماع الذي لبست به أبواب الواجهة بشكل لم يسبق له نظير في تاريخ الفن بالمغرب فكانت هذه المظاهر وكثير من أشباهها في أجزاء هذا التجديد صورا حية لعمق المكاسب الأندلسية والشرقية الإسلامية في حضارتنا الحديثة التي تضم إلى رواء الجمال العصري جلال الفن التقليدي، وقد أصبحت الصومعة الجديدة شامخة في هيكلها الضخم يراها الناظر وقد أطلت في سمت هندسي محكم على أكبر شارع هو شارع محمد الخامس رمز النهضة المغربية الحديثة ورائد الفكر الحضاري والإسلامي الجديد في المغرب العربي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما (جامع أهل فاس) فهو (جامع المشور) الذي أكد (الضعيف) أنه من مآثر السلطان الأمجد المولى محمد بن عبد الله، إلا أن بعده عن المدينة جعله كجامع السنة قليل الرواد إلى أن جاء السلطان الأكرم محمد الثالث (محمد بن عبد الرحمن) فجدد بناءه وموه سقوفه بالذهب والبرقشة ثم توالت التعديلات عليه وخاصة في عهد جلالة المرحوم محمد الخامس طيب الله ثراه الذي أفرغ فيه أروع مجالي الفن المعماري.

وقد أفرغ جلالة الملك الحسن الثاني حضارة الفن المغربي (في توليف شامل لمعطياته التاريخية منذ أزيد من ألف عام) ـ في التحفة لرائعة التي

تضم إلى جانب ضريح جلالة المرحوم محمد الخامس قرب جامع حسان[65] مسجدا صبت فيه كل قوالب الصناعة المعمارية الوطنية في طفرتها نحو الطرافة والتجديد ضمن الأصالة والتقليد.

تلك نماذج من الفن المعماري المغربي تبرر المجهود الذي بدلته البلاد عبر العصور لبلورة معطيات الهندسة المعمارية وضمان استمرار معالم التراث المغربي الأندلسي الذي خلد العطاء الإسلامي في مجالات الفنون الإنسانية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

65) جامع حسان من مآثر الموحدين الخالدة التي حققت وحدة الفن الشرقي والفن الأندلسي المغربي، فهو رمز لفخامة الدولة الموحدية ومشاعرها في السمو والعظمة وذوقها في التناسق الجامع بين الفخفخة والبساطة وهو مجهود رائع إذا اعتبرنا انبثاقه من أسرة «موحدة» كانت تعمل على دعم الإسلام في صفائه الأصيل... وحنيفيته السمحة وعظمته الساذجة.
ويقع جامع حسان شمالي شرق مدينة الرباط على نحو 30 مترا فوق البحر وهو المسجد الثاني الذي بناه الموحدون بالرباط بعد مسجد القصبة العتيق وبانيه هو يعقوب المنصور الذي أتمه عام 592 هـ ويظهر أن بناءه لم يتم ومنارته أقرب عهدا من منارة الكتبية ومنارة جامع اشبيلية المعروف بالخرالدة، وهي مربعة كمنارة جامع دمشق، يبلغ عرضها ربع طولها حسب التقليد المعماري، وهذا العلو وهو 64 مترا يجعل من منارة حسان أعظم منارة في الغرب بل حتى في الشرق، أما الجامع فإنه مربع المساحة تقريبا هندسي التقسيم لتساوق سواريه الفاصلة بين صحونه الواسعة، ومحرابه المربع الشكل على خلاف المحاريب المغربية، و هو منحرف بعض الشيء عن القبلة مثل جامع القرويين.

المصادر

- (تاريخ فتح الأندلس) مطبوع، لابن القوطية أبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز الإشبيلي المؤرخ اللغوي (367 هـ / 977م).
- (تاريخ علماء الأندلس) لابن الفرضي عبد الله بن محمد نشر بالقاهرة (1329 هـ / 1954م) بعنوان : «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس».
- «جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس» للحميدي محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي القاهرة 1952 ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ 1966 (414 ص).
- «فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس» لابن غالب نشره لطفي عبد البديع في مجلة معهد المخطوطات م. 7 (1955) (ص 279 ـ 310). (راجع ابن غالب محمد أيوب الغرناطي الذي انتقى تعليقا من «فرحة الأندلس» مكتبة مراد ملا 1410 (5).
- «نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان»، لابن الأحمر إسماعيل بن يوسف بن محمد (تحقيق محمد رضوان الداية)، دار الثقافة ـ بيروت 1967 (المكتبة الأندلسية 18).
- (تاريخ الأندلس) لابن الصيرفي أبي بكر تلميذ ابن العربي المعافري وصاحب (تاريخ الدولة اللمتونية).
- (بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس) لأحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة الضبي ـ دار الكتاب العربي ـ القاهرة 1697 / المكتبة الأندلسية ج 2 (547 ص).
- (كتاب ملوك الأندلس والأعيان والشعراء بها) لإبن ينق أبي عامر محمد بن يحي الشاطبي (547 هـ / 1153م).
- «تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس»، لابن هذيل (مكتبة الأسكوريال رقم 1652 (136 ورقة).
- «ريحانة النفوس وراحة الأنف س في ذكر شيوخ الأندلس»، لابن عات النفزي أحمد بن هرون (609 هـ / 1212م). وله أيضا «النزهة في التعريف بشيوخ الوجهة» (التكملة لابن عبد المالك ـ خزانة القرويين ـ (ج 1 ص 238).
- «جنة الرضا في التسليم بما قدر وقضى»، (ندب الفردوس المفقود)، لابن عاصم أبي يحي محمد بن صاحب التحفة (857 هـ / 1453م) الخزانة الملكية بالرباط (خم 2618).
- (المقتبس في تاريخ الأندلس لابن حيان بن خلف الجزء الثالث في خم نشره عبد الرحمن علي الحجي (بيروت 1965) وقبل ذلك بباريس 1937م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- «الكتاب المبين» في تاريخ الأندلس في ستين مجلدا لأبي مروان بن خلف 469 هـ / 1076م (الاعلام للمراكشي ج 1 ص 139).
- «المجمل في تاريخ الأندلس» لعبد الحميد العبادي جمع مادته ونسقها أحمد إبراهيم الشريف، الطبعة الثانية ـ القاهرة ـ دار القلم 1964.
- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس (نشر وتحقيق أحمد مختار العبادي).
- Charles Emmanuel Dufour – L'Espagne catalane et le Moghreb aux XIIIè et XIVè, siècles-Paris, 1966, l vol.(664 p).
- الفن الإسلامي في اسپانيا. مورينو مانويل جوميث ترجمة لطفي عبد البديع ومحمود عبد العزيز سالم ـ الدار المصرية للتأليف والنشر ـ القاهرة (500 ص).
- وفي خزانة كتب بالأسيوس قماطر جزازات جمعها (ريبيرا) الإسپاني في تراجم وجزازات علماء العرب بالأندلس وهي ثلاثون ألف جزازة لثلاثين ألف عالم.
- عبد الملك بن موسى الوراق أبو مروان، من مؤرخي القرن السادس الهجري.

له : (المقباس في أخبار المغرب والأندلس وفاس).

من أهم مراجع ابن عذاري وابن الخطيب :

الإحاطة ج 1 ص 278 / 288 الاستقصا ج 1 ص 166 / 169.

(المقتبس في أخبار المغرب والأندلس ص 35).

مفاخر البربر (ص 47 / تاريخ إسپانيا المسلمة؛ ليڤي بروفنصال ج 2 ص 259 ـ 272 / ج 3 ص 81.

ع. ب. ع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com